تأملات فى تفسير سورة المرسلات

دكتور

مصطفى شعبان البسيونى مسعد

أستاذ مساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية - جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الزهراء

-المقدمة-

لله بديع الأرض والسماوات ، دلت على قدرته أعظم الآيات ، وتجلت حكمته فى أسمى التشريعات، واتصف بأقدس الصفات فتنزه عن الصاحبة والولد ومماثلة المخلوقات، والصلاة والسلام على من كمل به صرح الرسالات ، وأضاء بنوره حوالك الظلمات ، وشفيعنا يوم البعث بعد الممات ، وعلى آله وأزواجه الطاهرات ، وأصحابه وتابعيهم بإحسان إلى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات،

وبعد

فإن أحق ما تستفرغ فيه الطاقات ، ويقضى فى طلبه الأوقات تفسير آيات الله البينات ، والوقوف على ما حوته من أسرار ودلالات ، وأحكام وعظات، وإعجاز يبهر العقل ويأخذ بتلابيبك ويستحوذ على ذاتك ، ومن هذه الآيات موضوع دراستى هذه تأملات فى تفسير سورة المرسلات ،والتى تحقق فيها جملة هذه الأهداف ، فهيا بنا نحلق فى سماء الإعجاز القرآنى على متن هذه السورة الكريمة نعانق الثريا بالوقوف على ما حوته من نكات بلاغية، ودقائق لغوية، ودلالات تفسيرية ، وتصوير بارع لأحداث الآخرة – بعد القسم بالآيات الدالة على مطلق القدرة الإلهية على وقوع البعث – وما يقع فيها من أهوال يشيب لها الولدان ويعجز عن وصفها اللسان، فتصغى الأذان وتنتبه الأذهان لتدبر كلام الخبير العلام الذى نطق بأبلغ بيان فى وصف مآل أهل الجنة والنيران وما يلحق بهما من مثوبة وجزاء ، فأوجزت فى بيان حال السعداء ، وأطنبت فى وصف حال الأشقياء وما يعتريهم من عذاب نفسي وجسمانى موعظة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع

وهو شهيد ، فتنزجرالجوارح عن اقتراف الأثام وتنخلع القلوب حسرة وندما على ما فرطت فى جنب الله ، وتسارع الأنفس بالتوبة والإنابة إلى الغفور الرحيم قبل أن يفوت الأوان ويمضى زمن التكاليف ، فيطلب منها قضاءها فلا تسطيع عجزا وقهرا بعد أن كانت تعرض عنها غيا واستكبارا "وإذا قيل لهم اركعوا لايركعون ويل يومئذ للمكذبين فبأى حديث بعده يؤمنون" وهذا ما ترمى إليه هذه الدراسة التى سميتها "تأملات فى تفسير سورة المرسلات" وقسمتها إلى مقدمة وتمهيد – بين يدى السورة المباركة – وأربعة مباحث على النحو التالي:

1- المبحث الأول : القسم على وقوع يوم القيامة وأهواله.
2- المبحث الثانى: دلائل القدرة الإلهيةعلى البعث والوحدانية
3- المبحث الثالث: وصف عذاب المكذبين بيوم الفصل ويتكون من مطلبين:
المطلب الأول : وصف ما يعتريهم من عذاب جسمانى
المطلب الثانى : وصف ما يعتريهم من عذاب نفسى وأدبى.
4- المبحث الرابع : مقابلة حال المتقين المحسنين بحال المكذبين المجرمين
5- الخاتمة

وقد سلكت فى بحثى هذا الخطوات المنهجية التالية:

1- ذكر عدد من الآيات التى تندرج تحت وحدة موضوعية.
2- ذكر أوجه المناسابات بين آيات السورة الكريمة.

3- ذكر معانى المفردات مع ما يصاحبها من بيان الأصل اللغوى والاشتقاق الصرفى.

4- إعراب الآيات إعرابا مفصلا يعين على تفسير الآيات إذ الإعراب فرع المعنى – كما هو معلوم- عند أهل الفن وغيرهم.

5- ذكر الصور البلاغية مع توضيحها والوقوف على أسرار الجمال والإعجاز فيها.

6- ذكر القراءات الواردة فى الآية مع التوجيه اللغوى لها وتوثيقها من الكتب المعتمدة عند أهل الفن.

7- ذكر المعنى الإجمالى للآيات.

8- الشرح والتحليل، وما يتضمنه من الوقوف على النكات اللغوية واللطائف التفسيرية ، وبيان أقوال المفسرين فيها وما يستفاد من الآيات من دقائق و أحكام .

أسأل المولى جل ذكره أن ييسر لى سبيل الرشد والسداد و أن يجنبنى الزيغ والضلال

"وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (88هود)

راجى عفو ربه

د/ مصطفى شعبان البسيونى مسعد

أستاذ مساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

بين يدى السورة المباركة

التعريف بالسورة من المهمات التى يحتاج إليها القارئ ؛ لتعينه على تدبر معانيها والوقوف على محتواها ؛ لذا كان لزاما على من يقدم على تفسير سور القرآن أن يمهد لكل سورة بما تنفرد به عن غيرها ببيان خصائصها المميزة لها – وجه تسميتها ، زمن ومكان نزولها ، صلتها بما قبلها وما بعدها ، وسبب نزولها ، والمقاصد العامة التى دعت إليها – واتباعا لهذا المنهج ، والسير على درب السابقين قمت بالتوطئة لتفسير هذه السورة بذكر ما تقدم على النحو التالى:

وجه تسمية السورة : سميت سورة المرسلات بهذا الاسم تسمية لها باسم مطلعها الذى أقسم الله به وهو قوله عز وجل "والمرسلات عرفا" قال الشهاب:" وتسمى سورة العرف"([1])

عددآياتها وكلماتها وحروفها وترتيبها:

آياتها: خمسون آية بلا خلاف

كلماتها: مائة وإحدى وثمانون كلمة.

حروفها: ثمان مائة وستة عشر حرفا.([2])

---

1 - حاشية الشهاب على البيضاوى ج 8 ص295ط دار صادر بيروت

2 - انظر البيان فى عد آى القرآن للإمام أبى عمرو الدانى ص261 ط مركز المخطوطات والتراث الكويت سنة 1994 م الطبعة الأولى تحقيق غانم قدورى الحمد.

ترتيبها : سورة المرسلات باعتبار زمن نزولها الثانية والثلاثون من سور القرآن الكريم نزلت بعد سورة الهمزة وقبل سورة ق ([1]) وباعتبار ترتيب المصحف هى السابعة والسبعون من سور القرآن الكريم.

أين ومتى نزلت سورة المرسلات: نزلت سورة المرسلات بمكة قبل الهجرة فهى مكية عند جمهور العلماء بتمامها، واستثنى ابن عباس وقتادة آية منها وهى قوله تعالى :(وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون)

قال الإمام القرطبى: سورة المرسلات مكية فى قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس وقتادة إلا آية منها وهى قوله تعالى :" وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون" ([2])

وقال الشهاب : "ولا خلاف فى كونها مكية إلا أن بعضهم استثنى منها آية وهى قوله تعالى : "وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون" ([3])

وبالتأمل فى سياق هذه السورة ووحدتها الموضوعية فى إقامة الأدلة على البعث وما يعقبه من أمور الآخرة وتهديد المكذبين بالويل والعذاب ، وهذا من مقاصد السور المكية يرجح أن السورة مكية بتمامها وظاهر الرويات يدل على ذلك.

قال الإمام الألوسي: "وعن ابن عباس وقتادة ومقاتل أن فيها آية مدنية وهي "وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون" وظاهر حديث ابن مسعود عدم

---

1 - البرهان فى علوم القرآن للزركشى ج1 ص193ط دار المعرفة سنة 1391هجرية تحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم.

2 - الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج19 ص153ط دار إحياء التراث العربى بيروت سنة 1985م

3 - حاشية الشهاب ج8 ص295

استثناء ذلك ،وأظهر منه ما أخرجه الحاكم وصححه وابن مردويه عنه أيضا قال كنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في غار فنزلت عليه والمرسلات فأخذتها من فيه وإن فاه لرطب بها فلا أدري بأيهما ختم فبأي حديث بعده يؤمنون وإذا قيل لهم اركعوالا يركعون"([1])

ما ورد فى فضل السوة من أحاديث: قال البخاري حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثني إبراهيم عن الأسود عن عبد الله هو بن مسعود رضي الله عنه قال بينما نحن مع رسول الله في غار بمنى إذ نزلت عليه " والمرسلات " فإنه ليتلوها وإني لأتلقاها من فيه وإن فاه لرطب بها إذ وثبت علينا حية فقال النبي اقتلوها فابتدرناها فذهبت فقال النبي وقيت شركم كما وقيتم شرها وأخرجه مسلم أيضا من طريق الأعمش([2]) وقال الإمام أحمد ثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عبيد الله عن بن عباس عن أمه أنها سمعت النبي يقرأ في المغرب بالمرسلات عرفا وفي رواية مالك عن الزهري عن عبيد الله عن بن عباس أن أم الفضل سمعته يقرأ (والمرسلات عرفا) فقالت يابني أذكرتني

---

1 - روح المعانى ج29 ص169 ط دار إحياء التراث العربي والمستدرك على الصحيحين كتاب التفسير ج2 ص276ط دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى سنة 1411هجرية وسنة 1990م تحقيق مصطفى عبد القادر عطا.

2 - صحيح البخاري كتاب الحج باب ما يقتل من الدواب ج2ص650 وكتاب التفسير باب تفسير سورة المرسلات ج4 ص1879ط دار ابن كثير اليمامة بيروت سنة 1407 هجرية 1987م الطبعة الثالثة وصحيح مسلم باب قتل الحيات ج4 ص 1755ط دارإحياء التراث العربى تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ومسند أحمد ج1ص377 ط مؤسسة قرطبة مصر والمستدرك على الصحيحين كتاب التفسير ج2 ص276ط دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى سنة 1411هجرية وسنة 1990م تحقيق مصطفى عبد القادر عطا.

بقراءتك هذه السورة إنها لآخر ما سمعت من رسول الله يقرأ بها في المغرب أخرجاه في الصحيحين من طريق مالك.([1])

وجه مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها:

من الأمور التى اعتنى بها الكثير من المفسرين إبراز وجوه المناسبات بين سور القرآن وآياته ، وبيان التآخى بينها وكأنها عقد محكم متناسق الدرر واللآلئ لا يمكن تقديم أو تأخير إحداها عن موضعها، فسوره وآياته فى غاية الإحكام والانسجام .

والقارئ المتدبر لكتاب الله يقف على كثير من وجوه المناسبات بين سوره وآياته ، وسورة المرسلات كنظائرها من السور متصلة تمام الصلة بما قبلها وما بعدها ويتضح ذلك فى الآتى:

أ- مناسبة السورة لما قبلها: ختمت سورة الإنسان المتقدمة على هذه السورة بقوله عز وجل "يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما" وفى هذا وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وزمن تحقق هذا الوعد والوعيد فى الآخرة ، فناسب الحديث بعده عن هذا اليوم والتأكيدعلى وقوعه وذلك من شأنه أن يزيد فى إيمان المؤمنين ، ويرفع الحجب ويزيل الشبه عن

---

1 - صحيح مسلم كتاب الصلاة باب القراءة فى الصبح ج1ص338 وسنن أبى داود كتاب الصلاة باب قدر القراءة فى المغرب ج1ص214ط دار الفكر تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد وسنن الترمذى كتاب أبواب الصلاة باب ما جاء فى القراءة فى المغرب ج2 ص113 ط دار إحياء التراث العربى تحقيق أحمد شاكر وسنن النسائى الكبرى باب سورة المرسلات ج6 ص505 ط دار الكتب العلمية سنة1411هجرية وسنة 1991م الطبعة الأولى

المرتابين فى حدوثه والمكذبين بوقوعه ، وهذا ما جاءت به سورة المرسلات مقررة ومؤكدة له.

قال الإمام البقاعى: "لما ختمت سورة الإنسان بالوعد لأوليائه والوعيد لأعدائه وكان الكفار يكذبون بذلك ،افتتح هذه السورة بالأقسام على أن ذلك كائن فقال "والمرسلات .."([1])

2- بالتأمل فى آيات سورة الإنسان نجدها أطنبت الحديث فى وصف أحوال الأبرار المتقين وما أعده الله لهم فى الآخرة من جزاء ومثوبة ، وأوجزت فى أحوال العصاة والكافرين وما أعد لهم من عذاب أليم ، وفى هذه السورة الأمرعلى خلاف ذلك من الإطناب فى ذكر أحوال الكفار المكذبين وما يعتريهم فى ذلك اليوم من إهانة وعقاب أليم وسوء مصير ، والإيجاز فى ذكر أحوال المتقين وما أعد لهم من نعيم فوقع بذلك الاعتدال بين السورتين.

ب – مناسبة السورة لما بعدها: بالنظر والتأمل فى الوحدة الموضوعية لسورة النبأ والغرض الذى سيقت لأجله فى إثبات عقيدة البعث واليوم الآخر ،وما أعده الله فيه للمتقين من نعيم والطاغين من عذاب أليم ، نجد اتفاقا بين السورتين فى المقصد والموضوع فالثانية منهما متممة للأولى وإليك تفصيل ذلك:

1- إقامة الأدلة والبراهين الدالة على قدرة الله تعالى على البعث فى سورة المرسلات فى قوله تعالى "ألم نهلك الأولين" وقوله عز وجل "ألم نخلقكم

1 نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للبقاعى ج21 ص164ط دار الكتاب الإسلامى القاهرة

من ماء مهين" وقوله "ألم نجعل الأرض كفاتا" وفى سورة النبأ"ألم نجعل الأرض مهادا...الآيات من6إلى16.

2- اشتراك السورتين فى وصف القيامة وأهوالها ونعيم المتقين وعذاب الكافرين.

- فصلت سورة النبأ ما أجمل فى سوة المرسلات فقال تعالى لأى يوم أجلت ليوم الفصل وما أدراك مايوم الفصل " الآيات 12إلى 14- وجاء التفصيل والبيان فى قوله تعالى:"إن يوم الفصل كان ميقاتا ...إلى آخر السورة الكريمة فالعلاقة بين السورتين من باب التفصيل بعد الإجمال ، فالمناسبة بينهما ظاهرة لا مرية فيها.

المقاصد العامة التى تدعو إليها السورة الكريمة

إن المقصد الأسمى والهدف الرئيس من هذه السورة كغيرها من السور المكية هو ترسيخ دعائم العقيدة فى القلوب من الإيمان بالبعث والمعاد والحساب والجزاء، وإقامة الأدلة المادية عليها ، وبيان مجد القرآن فى صدقه فى الأخبار بتعذيب أهل الكفران وتنعيم أهل الإيمان فى يوم الفصل وتبكيتهم وتوبيخهم بعدولهم عنه وإيمانهم بغيره "فبأى حديث بعده يؤمنون" وإليك بيان ما تفرع عن هذا المقصد من أهداف :

1- افتتحت السورة بالقسم بالرياح والملائكة على وقوع القيامة "يوم الفصل" وحدوث العذاب للكفار وبيان علامات ذلك العذاب الآيات من1إلى 15
2- أوردت بعض دلائل القدرة الإلهية على البعث وإحياء الناس بعد الموت ، وهو إهلاك بعض الأمم المتقدمة وخلق الناس وجعل الأرض كفاتا جامعة ضامة لمن عليها والجبال الشامخات للتثبيت. وتضمين ذلك وعيد الكافرين

بعقوبة مماثلة وتوبيخ المكذبين على إنكارهم نعم الله عليهم فى الأنفس ومخلوقات الأرض "ويل يومئذ للمكذبين ألم نهلك الأولين الآيات من 15 إلى28

3- ثم حددت مصير المجرمين ووصفت عذاب الكافرين وصفا تشيب له الولدان "انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون"الآيات من 29إلى40

4- ثم وصفت نعيم المؤمنين المتقين وألوان التكريم والإحسان والإفضال فى جنات الخلد "إن المتقين فى ظلال وعيون"الآيات من 41إلى45

5- ثم ختمت السورة بتقريع الكفار وتوبيخهم على بعض أعمالهم وأبانت سبب امتناعهم عن عبادة الله وهو طغيانهم وإجرامهم"كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون" الآيات من46إلى50 ([1])

وقد ذكر الله تعالى فى هذه السورة عشرة أنواع من تخويف الكفار وتحذيرهم وهى كالتالى:

النوع الأول : أنه أقسم فى الآيات الأولى على أن اليوم الذى يوعدون به واقع.

النوع الثانى: أنه أهلك الكفرة المتقدمين بسبب كفرهم وأخبر أنه يفعل مثل ذلك فى الأقوام المتأخرين ، فلا بد وأن يهلكهم أيضا لتماثلهم مع المتقدمين فى علة الإهلاك وهى التكذيب بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر ، وذكر تعالى أن هذا الإهلاك إنما يفعله بهم لكونهم مجرمين ، فعم الحكم جميع المجرمين ، ثم أكد التخويف بقوله "ويل يومئذ للمكذبين".

---

1 - انظر التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج للدكتور وهبة الزحيلى ج29ص213ط دار الفكر المعاصر دمشق سنة 1418 هجرية

النوع الثالث : من تخويف الكفار التذكير بعظيم إنعامه عليهم والتحذير من مغبة كفران النعمة وإنكار إحسانه إليهم وهو خلقه الإنسان من النطفة الصغيرة الحقيرة ثم إيداعها فى مكان حريز وهو الرحم إلى أن يتم تصويره ويحين وقت ولادته ، وذلك لا يمكن من غير قادر ، فنعم القادر والمقدر وهو الله تعالى.

ووجه التخويف من جانبين : الأول : أنه كلما كانت نعمة الله عليهم أكثر كانت جنايتهم فى حقه أقبح وأفحش وكان العقاب أعم ؛ لذا قال عقب هذا الإنعام "ويل يومئذ للمكذبين"

النوع الرابع من تخويفهم :أنه تعالى بعد أن ذكرهم بالنعم التى له عليهم فى الأنفس ذكرهم بالنعم التى له عليهم فى الأفاق ، وذكر ثلاثة أشياء "هى الأرض التى هى كفات الأحياء والأموات ،والجبال الرواسى الشامخات أى الثوابت على ظهر الأرض فلا تزول ، والماء الفرات الذى هو الغاية فى العذوبة ، وأعقب التذكير بهذه النعم فى الأفاق فى آخر الأية "ويل يومئذ للمكذبين" لأن النعم كلما كانت أكثر كانت الجناية أقبح فكان استحقاق الذم عاجلا والعقاب آجلا أشد.

النوع الخامس من وجوه تخويف الكفار: وهو بيان كيفية عذابهم فى الآخرة فقال تعالى :"انطَلِقُواْ إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ انطَلِقُواْ إِلَى ظِلٍّ ذِى ثَلَاثِ شُعَبٍ لاَّ ظَلِيلٍ وَلاَ يُغْنِى مِنَ اللَّهَبِ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ"

النوع السادس من أنواع تخويف الكفار وتشديد الأمر عليهم قوله تعالى: "هَذَا يَوْمُ لاَ يَنطِقُونَ وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ" وذلك لأنه تعالى بين أنه ليس لهم عذر ولا حجة فيما أتوا به من القبائح ،ولا

قدرة لهم على دفع العذاب عن أنفسهم، فيجتمع في حقه في هذا المقام أنواع من العذاب أحدها عذاب الخجالة فإنه يفتضح على رءوس الأشهاد ويظهر لكل قصوره وتقصيره، وكل من له عقل سليم علم أن عذاب الخجالة أشد من القتل بالسيف والاحتراق بالنار.

وثانيها وقوف العبد الآبق على باب المولى ووقوعه في يده مع علمه بأنه الصادق الذي يستحيل الكذب عليه على ما قال "مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ "–ق29–

وثالثها أنه يرى في ذلك الموقف خصماءه الذين كان يستخف بهم ويستحقرهم فائزين بالثواب والتعظيم ويرى نفسه فائزاً بالخزي والنكال وهذه ثلاثة أنواع من العذاب الروحاني

ورابعها العذاب الجسماني وهو مشاهدة النار وأهوالها نعوذ بالله منها فلما اجتمعت في حقه هذه الوجوه من العذاب بل ما هو مما لا يصف كنهه إلا الله لا جرم قال تعالى في حقهم "وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ"

النوع السابع: من أنواع تهديد الكفار جمعهم فى يوم الفصل وفضحهم على رؤوس الخلائق قال تعالى:" هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأٌّ وَّلِينَ فَإِن كَانَ لَكمُ كَيْدٌ فَكِيدُونِ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ"

وهذا القسم من باب التعذيب بالتقريع والتخجيل فأما قوله: "هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ" فاعلم أن ذلك اليوم يقع فيه نوعان من الحكومة أحدهما ما بين العبد والرب ، وفي هذا القسم كل ما يتعلق بالرب فلا حاجة فيه إلى الفصل ،وهو ما يتعلق بالثواب الذي يستحقه المرء على عمله وكذا في العقاب،

إنما يحتاج إلى الفصل فيما يتعلق بجانب العبد ،وهو أن تقرر عليهم أعمالهم التي عملوها حتى يعترفوا

والقسم الثاني ما يكون بين العباد بعضهم مع بعض فإن هذا يدعى على ذاك أنه ظلمني وذاك يدعى على هذا أنه قتلني، فههنا لا بد فيه من الفصل وقوله "جَمَعْنَاكُمْ وَالأوَّلِينَ "كلام موضح لقوله "هَذا يَوْمُ الْفَصْلِ" لأنه لما كان هذا اليوم يوم فصل حكومات جميع المكلفين فلا بد من إحضار جميع المكلفين لا سيما عند من لا يجوز القضاء على الغائب ثم قال :"فَإِن كَانَ لَكمُ كَيْدٌ فَكِيدُونِ" يشير به إلى أنهم كانوا يدفعون الحقوق عن أنفسهم بضروب الحيل والكيد فكأنه قال: فههنا إن أمكنكم أن تفعلوا مثل تلك الأفعال المنكرة من الكيد والمكر والخداع والتلبيس فافعلوا، وهذا كقوله تعالى:" فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مّن مِّثْلِهِ"–سورة البقرة 23– ثم إنهم يعلمون أن الحيل منقطعة والتلبيسات غير ممكنة فخطاب الله تعالى لهم في هذه الحالة بقوله فَإِن كَانَ لَكمُ كَيْدٌ فَكِيدُونِ نهاية في التخجيل والتقريع وهذا من جنس العذاب الروحاني فلهذا قال عقيبة "وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لّلْمُكَذّبِينَ "

النوع الثامن :من أنواع تهديد الكفار وتعذيبهم هو بيان ما أعده الله للمتقين بقوله تعالى :"إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى ظِلَالٍ وَعُيُونٍ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ هَنِيئاً بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لّلْمُكَذّبِينَ " وذلك لأن الخصومة الشديدة والنفرة العظيمة كانت في الدنيا قائمة بين الكفار والمؤمنين ، فصارت تلك النفرة بحيث أن الموت كان أسهل على الكافر من أن يرى للمؤمن دولة وقوة ، فلما بين الله تعالى في هذه السورة اجتماع أنواع العذاب والخزي والنكال على الكفار بين في هذه الآية اجتماع أنواع السعادة والكرامة في حق المؤمن حتى أن الكافر حال

ما يرى نفسه في غاية الذل والهوان والخزي والخسران ، ويرى خصمه في نهاية العز والكرامة والرفعة والمنقبة تتضاعف حسرته وتتزايد غمومه وهمومه، وهذا أيضاً من جنس العذاب الروحاني، فلهذا قال في هذه الآية "وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ"

النوع التاسع :من أنواع تخويف الكفار تهديدهم بقوله "كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلاً إِنَّكُمْ مُّجْرِمُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ"

كأنه تعالى يقول للكافر حال كونه في الدنيا إنك إنما عرضت نفسك لهذه الآفات التي وصفناها ولهذه المحن التي شرحناها لأجل حبك للدنيا ورغبتك في طيباتها وشهواتها إلا أن هذه الطيبات قليلة بالنسبة إلى تلك الآفات العظيمة والمشتغل بتحصيلها يجري مجرى لقمة واحدة من الحلواء وفيها السم المهلك فإنه يقال لمن يريد أكلها ولا يتركها بسبب نصيحة الناصحين وتذكير المذكرين كل هذا وويل لك منه بعد هذا فإنك من الهالكين بسببه ، وهذا وإن كان في اللفظ أمراً إلا أنه في المعنى نهي بليغ وزجر عظيم ومنع في غاية المبالغة

النوع العاشر من أنواع تخويف الكفار تذكيرهم بما أمروا به فى الدنيا بالصلاة وتركهم لها فقال تعالى : "وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُواْ لاَ يَرْكَعُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ" كأنه قيل لهم هب أنكم تحبون الدنيا ولذاتها، ولكن لا تعرضوا بالكلية عن خدمة خالقكم بل تواضعوا له، فإنكم إن آمنتم ثم ضممتم إليه طلب اللذات وأنواع المعاصي حصل لكم رجاء الخلاص عن عذاب جهنم والفوز بالثواب كما قال:" إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء"–النساء48– ثم إن هؤلاء الكفار لا يفعلوا ذلك ولا ينقادون لطاعته ويبقون مصرين على جهلهم وكفرهم وتعريضهم أنفسهم

للعقاب العظيم، فلهذا قال وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ أي الويل لمن يكذب هؤلاء الأنبياء الذين يرشدونهم إلى هذه المصالح الجامعة بين خيرات الدنيا والآخرة .([1])

وبعد التعريف بهذه السورة الكريمة والوقوف على مقاصدها آن الوقت للولوج فى هذه الدوحة الغناء نقتطف من ثمارها ، ونستنشق عبيرها ونتلمس معانيها ونقف على دقائقها بقدر الاستطاعة البشرية راجين من المولى التوفيق والسداد فهو نعم المولى ونعم النصير.

1 - انظر التفسير الكبير للرازى ج30 ص238إلى ص249 بتصرف ط دار الكتب العلمية بيروت سنة2000م والتفسير المنير ج29 ص322 وص323

المبحث الأول

القسم على وقوع يوم القيامة وأهواله

قال تعالى :"وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (1) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (2) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (3) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (4) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (5) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (6) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (7) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (8) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (9) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (10) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (11) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (12) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (13) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (14) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (15) أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (16) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (17) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (18) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (19)

معانى المفردات وأصلها اللغوى:

"المرسلات": الرياح

عرفا: العرف ضد النكر والنكر صيرورة الشئ منكرا عند العقل والعقلاء ، كما أن العرف هو المعروفية عند العقل بحيث يعرفه ويصدقه ([1]) ، والعرف أيضا التتابع "وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا" أى متتابعة كعرف الفرس كما قالت العرب الناس إلى فلان عرف واحد إذا توجهوا إليه فأكثروا([2])

1 - التحقيق فى كلمات القرآن الكريم لحسن المصطفوى ج8 ص181ط مركز نشر آثار العلامة المصطفوى الطبعة الأولى طهران سنة 1393هجرية

2 - تفسير الطبرى ج 24ص124ط مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى سنة 2000م تحقيق أحمد ومحمود شاكر

قال الراغب:"وعرف الفرس والديك معروف،وجاء القطا عرفا أي متتابعة،قال: (والمرسلات عرفا)([1])

"العاصفات عصفا":عصفت الرياح عصفامن باب ضرب وعصوفا : اشتدت فهى عاصف وعاصفة والجمع عواصف وعاصفات ([2])

قال صاحب المفردات: العصف والعصيفة الذى يعصف من الزرع ويقال لحطام النبت المتكسر عصف، قال: (والحب ذو العصف – كعصف مأكول – وريح عاصف) وعاصفة ومعصفة تكسر الشئ فتجعله كعصف، وعصفت بهم الريح تشبيها بذلك.([3]) والتحقيق أن الأصل الواحد فى المادة هو سرعة بشدة وهذا المعنى يختلف بحسب اختلاف الموارد فشدة السرعة فى الريح شدة جريانها ،وفى الدابة السرعة فى السير ،وفى الحرب والحوادث شدة فى جريانها وسرعة فى القتال . وفى الزرع التسريع والتعجيل فى الحصاد قبل أوانه وقبل تمامية الزرع والحرث ([4])

"والناشرات نشرا":النشر نشر الثوب والصحيفة والسحاب والنعمة والحديث بسطها... وقوله: "والناشرات نشرا" أي الملائكة التى تنشر الرياح أو الرياح التى تنشر السحاب ([5])

---

1 - مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهانى ص332 ط دار المعرفة تحقيق محمد سيد كيلانى

2 - التحقيق فى كلمات القرآن ج8 ص181

3 المفردات ص336

4 - التحقيق فى كلمات القرآن ج8 ص182

5 - المفردات ص492

ونشرا :أصل صحيح يدل على فتح شئ وتشعبه ونشرت الخشبة بالمنشار والنشر: الريح الطيبة .. ومنه نشرت الكتاب خلاف طويته ونشرت الأرض :أصابها الربيع فأنبتت...والتحقيق أن الأصل فى المادة هو بسط بعد قبض.([1])

الفارقات فرقا:فرقت بين الشئ فرقامن باب قتل فصلت أبعاضه. وفرقت بين الحق والباطل([2])

قال الراغب :فرقا: الفرق يقارب الفلق لكن الفلق يقال اعتبارا بالانشقاق والفرق يقال اعتبارا بالانفصال .. وفرقت بين الشيئين فصلت بينهما سواء كان ذلك بفصل يدركه البصر أو بفصل تدركه البصيرة، قال: (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين–المائدة25– فالفارقات فرقا) يعنى الملائكة([3])

طمست: الطمس إزالة الاثر بالمحو، قال: "وإذا النجوم طمست" – "ربنا اطمس على أموالهم"– يونس88– أي أزل صورتها "ولو نشاء لطمسنا على أعينهم"– يس66– أي أزلنا ضوأها وصورتها كما يطمس الأثر.([4])

فرجت: فَرَجْتُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ فَرْجًا مِنْ بَابِ ضَرَبَ فَتَحْتُ وَفَرَجَ الْقَوْمُ لِلرَّجُلِ فَرْجًا أَيْضًا أَوْسَعُوا فِي الْمَوْقِفِ وَالْمَجْلِسِ وَذَلِكَ الْمَوْضِعُ فُرْجَةٌ وَالْجَمْعُ فُرَجٌ مِثْلُ غُرْفَةٍ وَغُرَفٍ وَكُلُّ مُنْفَرِجٍ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ فَهُوَ فُرْجَةٌ([5])

1 - التحقيق فى كلمات القرآن ج12 ص132 وص133
2 المصباح المنير للفيومى ج2 ص470ط المكتبة العلمية بيروت
3 - المفردات ص377
4 - المفردات ص307
5 المصباح ج2 ص465

قال الراغب: الفرج والفرجة الشق بين الشيئين كفرجة الحائط... وقوله "وما لها من فروج"- ق6- أي شقوق وفتوق، قال (وإذا السماء فرجت) أي انشقت([1])

نسفت: نسَفَت الريحُ الشيء تَنْسِفه نَسْفاً وانتَسَفَته سلبَتْه وأَنْسَفتِ الريحُ إنسافاً وأَسافَت الترابَ والحصى.. وانتسَفْتُ الشيء اقْتَلَعْته ([2])

أقتت:الميقات الوقت المضروب للشئ والوعد الذى جعل له وقتا.([3])

الفصل: إبانة أحد الشيئين من الآخر حتى يكون بينهما فرجة.. قوله "إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين" -الدخان40- "هذا يوم الفصل" أي اليوم يبين الحق من الباطل ويفصل بين الناس بالحكم.([4])

الإعراب : "والمرسلات عرفا" الواو للقسم والمرسلات مجرور بواو القسم ، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره أقسم.

وعرفا:إما أن يكون من عرف الفرس وهو بضم العين أي شعر العنق للفرس فيعرب حالا من الضمير المستكن فى المرسلات والمعنى على التشبيه أى حال كونها عرفا أى شبهت بعرف الفرس من حيث تلاحقها وتتابعها كما أنه كذلك ، أو على أنه مصدر كأنه قال والمرسلات إرسالا أى متتابعة ، وإما أن يكون من العرف وهو المعروف على حد قول الحطيئة:

---

1 - المفردات ص375

2 لسان العرب لابن منظور ج9ص327 ط دار صادربيروت

3 المفردات ص523

4 المصدر السابق ص381

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس ([1])

وانتصابه على أنه مفعول لأجله أى أرسلت للإحسان والمعروف أو منصوب بنزع الخافض.

"فالعاصفات عصفا" الفاء عاطفة للتعقيب والعاصفات عطف على المرسلات وهى اسم فاعل من العصف بمعنى الشدة، وفى المصباح :"عصفت الريح عصفا من باب ضرب وعصوفا أيضا اشتدت"([2])، وعصفا مصدر مؤكد فهو مفعول مطلق.

"والناشرات" عطف أيضا و"نشرا" مفعول مطلق.

"فالفارقات" عطف أيضا"وفرقا" مفعول مطلق

"فالملقيات"عطف أيضا "وذكرا" مفعول به للملقيات أى للملائكة تنزل بالوحى إلى الأنبياء.

"عذرا أو نذرا"هما مصدران من عذر إذا محا الإساءة ومن أنذر إذا خوف على الكفر والشكر وهما منصوبان على أنهما مفعول من أجله .وأجاز الزمخشرى أن ينتصبا على البدل من ذكرا([3]) ،وعبارة أبى البقاء وفى عذرا وجهان :

أحدهما : هما مصدران يسكن أوسطهما ويضم

---

1 - ديوان الحطيئة ص4 وكتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ج2 ص166 ط دار الفكر تحقيق على مهنا وسمير جابر

2 - المصباح ج2ص414

3 - الكشاف ج4ص679طدار إحياء التراث العربى تحقيق عبد الرزاق المهدى

والثانى : هما جمع عذير ونذير فعلى الأول ينتصبان على المفعول له أو على البدل من ذكرا.

وعلى الثانى :هما حالان من الضمير فى الملقيات أى معذرين ومنذرين"([1])

"إنما توعدون لواقع" جواب القسم فى قوله "والمرسلات"وما بعده معطوف عليه وليس قسما مستقلا والجملة لا محل لها من الإعراب و"ما" موصولة بمعنى الذى اسم إن و"توعدون" صلتها والعائد محذوف أى إن الذى توعدونه، و"لواقع" خبرها.

"فإذا النجوم طمست" النجوم مرتفعة بفعل مضمر يفسره ما بعده عند البصريين غير الأخفش وتقدير الكلام إذا طمست النجوم طمست وجملة"طمست" مفسرة لا محل لها من الإعراب.

ويجوز فى النجوم الرفع بالابتداء عند الكوفيين والأخفش.([2])

وفى جواب "إذا" قولان:أحدهما محذوف تقديره فإذا طمست النجوم وقع ما توعدون لدلالة قوله "إنما توعدون لواقع" أو بان الأمر.

الثانى:أنه"لأى يوم أجلت"على إضمار القول أى يقال لأى يوم فالفعل فى الحقيقة هوالجواب.

وقيل الجواب "ويل يومئذللمكذبين" نقله مكى وهو غلط لأنه لو كان جوابا لزمته الفاء لكونه جملة اسمية.

1- انظر إعراب القرآن وبيانه لمحى الدين درويش ج10 ص333 و إملاء ما من به الرحمن لأبى البقاء العكبرى ج2 ص277ط المكتبة العلمية والبحر المحيط ج 8 ص369 ط دار الكتب العلمية تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين

2 - معانى القرآن للأخفش ص327

قوله تعالى:"وإذا السماء فرجت وإذا الجبال نسفت وإذا الرسل أقتت" جمل معطوفة على جملة فإذا النجوم طمست.

"لأى يوم" متعلق بأجلت ،وهذه الجملة معمولة لقول مضمر أى يقال ،وهذا القول المضمر يجوز أن يكون جوابا ل"إذا" كما تقدم وأن يكون حالا من مرفوع"أقتت" أى مقولا فيها لأى يوم أجلت.

وقوله "ليوم الفصل"بدل من"لأى يوم" بإعادة العامل، وقيل: بل تتعلق بفعل مقدر :أى أجلت ليوم الفصل وقيل اللام بمعنى إلى ذكرهما مكى.([1])

"وما أدراك ما يوم الفصل"ما استفهامية مبتدأ وجملة أدراك خبرها والكاف مفعول أول وقوله ما يوم الفصل جملة من مبتدأ وهو ما الاستفهامية وخبر سادة مسد المفعول الثانى.([2])

"ويل يومئذ للمكذبين"ويل مبتدأ سوغ الابتداء بالنكرة كونه دعاء "يومئذ"ظرف للويل وجوز أبو البقاءأن يكون صفة "لويل" و"المكذبين" خبره.([3])

الصور البلاغية:

1 - مشكل إعراب القرآن لمكى بن أبى طالب ج2ص447ط مؤسسة الرسالة بيروت سنة 1405 الطبعة الثانية تحقيق د/ صالح حاتم الضامن

2 - حاشية الجمل ج8 ص203

3- انظر الدر المصون ج10 ص631إلى ص633 ط دار القلم تحقيق د/ أحمد محمد الخراط و مشكل إعراب القرآن ج2 ص447وإملاء ما من به الرحمن وجوه الإعراب والقراءات ج2 ص278ط المكتبة العلمية وإعراب القرآن وبيانه ج10ص334

1- القسم لتأكيد وقوع المقسم عليه وفى إطالته تشويق للسامع وتنبيهه لتلقى المقسم عليه.

قال صاحب التحرير: قسَم بِمخلوقات عظيمة دالّةٍ على عظيم علم الله تعالى وقدرته .والمقصود من هذا القسم تأكيد الخبر ، وفي تطويل القَسَم تشويقُ السامع لتلقي المقسم عليه .([1])

المجاز فى قوله"فالعاصفات عصفا"واستعمال العاصفات بمعنى المسرعات سرعة الريح مجاز على سبيل الاستعارة ولا يبعد أن يراد بالعاصفات المذهبات المهلكات بالعذاب الذي أرسلن به من أرسلن إليه على سبيل الاستعارة أيضاً أو المجاز المرسل.([2])

3- التأكيد:فى قوله تعالى:"فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا" تأكيد بذكر المصدر لزيادة البيان وتقوية الكلام.([3])

4- الإلقاء مستعار لتبليغ الذكر من العالم العلوى إلى أهل الأرض بتشبيهه بإلقاء شئ من اليد إلى الأرض.([4])

5- الطباق فى قوله "عذرا أو نذرا"

6- البناء للمفعول أفاد الترهيب فى قوله "إنما توعدون"قال البقاعى–رحمه الله–:

وبناه للمفعول لأنه المرهوب لا كونه من معين مع أنه معروف أنه مما توعد به الله على لسان محمد صلى الله عليه وسلم.([1])

---

1 - التحريروالتنويرج29ص 419

2- روح المعانى ج 29ص 170ط دار إحياء التراث العربى

3 - التفسير المنير ج29ص304

4- التحرير والتنوير ج 29ص422ط الدار التونسية سنة1984م

7- تكرار "إذا" لزيادة الاهتمام بمضمون ما بعدها وليكون مضونا مستقلا عن غيره قال صاحب التحرير والتنوير: وكررت كلمة " إذَا " في أوائل الجمل المعطوفة على هذه الجملة بعد حروف العطف مع إغناء حرف العطف عن إعادة " إذا " كما في قوله : "فإذا برق البصر وخَسَف القمر وجُمع الشمس والقمر يقول الإنسان "- القيامة آية 7: 10 - لإفادة الاهتمام بمضمون كل جملة من هذه الجمل ليكون مضمونها مستقلاً في جعله علامة على وقوع ما يوعدون .([2])

8- إفادة الاستفهام للتعظيم فى قوله تعالى:"لأى يوم أجلت"قال الإمام القرطبى:"لأى يوم أجلت"أى أخرت وهذا تعظيم لذلك اليوم فهو استفهام على التعظيم.([3])

9- وضع الظاهر موضع المضمر فى قوله تعالى:"وما أدراك ما يوم الفصل" لزيادة التفظيع والتهويل المقصودين من الكلام.([4])

10- الاستفهام فى قوله "وما أدراك ما يوم الفصل"للتهويل والتعجب.

11- التكرار:تكررت آية"ويل يومئذ للمكذبين فى هذه السورة عشر مرات والسر فيها زيادة الترغيب والترهيب.

"والتكرار فى مقام الترغيب والترهيب حسن لا سيما إذا تغايرت الآيات السابقة على المرات المكررة كما هنا.([5])

---

1 - نظم الدررفى تناسب الآيات والسورج 21ص167 ط دار الكتاب الإسلامى القاهرة

2 - التحرير والتنوير ج 29ص424

3 - الجامع لأحكام القرآن ج19 ص158

4 - روح المعانى ج 29ص173ط دار إحياء التراث العربي

5 - حاشية الجمل على الجلالين ج8ص203

القراءات الواردة فى الآيات:

1- قرأ الجمهور : "عرفاً " بسكون الراء ، وعيسى : بضمها .([1])

2- قوله تعالى "فالملقيات "قرأ الجمهور : "فالملقيات " اسم فاعل خفيف ، أي نطرقه إليهم؛ وابن عباس : مشدد من التلقية ، وهي أيضاً إيصال الكلام إلى المخاطب . يقال : لقيته الذكر فتلقاه . وقرأ أيضاً ابن عباس ، فيما ذكره المهدوي : بفتح اللام والقاف مشددة اسم مفعول ، أي تلقته من قبل الله تعالى .([2])

3- قوله تعالى "عذرا أو نذرا " قرأ إبراهيم التيمي والنحويان وحفص : "عذراً أو نذراً " بسكون الذالين؛ وزيد بن ثابت وابن خارجة وطلحة وأبو جعفر وأبو حيوة وعيسى والحسن : بخلاف؛ والأعشى ، عن أبي بكر : بضمهما؛ وأبو جعفر أيضاً وشيبة وزيد بن علي والحرميان وابن عامر وأبو بكر : بسكونها في عذراً وضمها في نذراً.([3])

قال الإمام الطبري: واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والشام وبعض المكيين وبعض الكوفيين:" عُذْرًا " بالتخفيف، أو نُذْرا بالتثقيل: وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة وبعض البصريين بتخفيفهما، وقرأه

---

1 - البحر المحيط ج 8ص395وانظر معجم القراءات د/عبداللطيف الخطيب ج10 ص235ط دار سعد الدين للنشر والتوزيع دمشق الطبعة الأولى سنة 2002م ص235والمحتسب فى تبيين وجوه القراءات الشاذة لابن جنى ج2 ص345ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

2 - البحر المحيط ج8 ص396ومعجم القراءت ج10 **ص235والسبعة فى القراءات لابن مجاهد ص666ط دار المعارف الطبعة الثانية سنة 1400 تحقيق د/شوقى ضيف وحجة القراءات لابن زنجلة ص742**

3 - البحر المحيط ج 8ص396 والجامع لأحكام القرآن ج19 ص156

آخرون من أهل البصرة بتثقيلهما والتخفيف فيهما أعجب إليّ وإن لم أدفع صحة التثقيل لأنهما مصدران بمعنى الإعذار والإنذار.([1]) وقرأ الجمهور عذرا أو نذرا بأو التفصيل وإبراهيم التيمى ونذرا بواو العطف .([2])

4- قوله تعالى "فإذا النجوم طمست وإذا السماء فرجت"قرأعمرو بن ميمون:طمست وفرجت بشد الميم والراء والجمهور بخفهما.([3])

5- "وإذا الرسل أقتت "قرأ الجمهور : " أقتت" بالهمز وشد القاف؛ وبتخفيف القاف والهمز النخعي والحسن وعيسى وخالد . وقرأ أبو الأشهب وعمرو بن عبيد وعيسى أيضاً وأبو عمرو : بالواو وشد القاف . قال عيسى : وهي لغة سفلى مضر . وعبد الله والحسن وأبو جعفر : بواو واحدة وخف القاف؛ والحسن أيضاً : ووقتت بواوين على وزن فوعلت.([4])

المعنى الإجمالى للآيات:

أقسم الله تعالى ببعض مخلوقاته تعظيما لشأنها وإظهار لكمال قدرته ودلائل وحدانيته، والحكمة من القسم هو سكون النفس للخبر واطمئنانها إلى صدق المخبر فيه ،وبذلك يحصل الغرض من إلقاء الخبر على السامعين، فأقسم الله تعالى بالمرسلات وهى الرياح المتتابعة العاصفة الشديدة الهبوب التى تعصف بالأشجار فتقلعها وبالمبانى

1 - جامع البيان ج24ص129
2 - البحر المحيط ج8 ص396 وانظر معجم القراءات ج10 ص237
3 - البحر المحيط ج8 ص396ومعجم القراءات ج10 ص238
4 - البحر المحيط ج 8ص 396وروح المعانى ج 29ص173ومعجم القراءات ج10 ص237 والسبعة ص666 وحجة القراءات ص743

فتهدمها،"والناشرات نشرا" الرياح المعتدلة التى تنشر السحاب وتسوقه للمطر "فالفارقات فرقا" وهى آيات الذكر الحكيم تفرق بين الحق والباطل ، "فالملقيات ذكرا عذرا أو نذرا" وهى الملائكة تلقى على من اصطفى الله تعالى من عباده للإعذار والإنذار أى تعذر أناسا وتنذر آخرين هذا هو القسم ، والمقسم عليه قوله تعالى "إنما توعدون"أيها الناس من خير أو شر لواقع أى كائن لا محالة، وعليه فأصلحوا أعمالكم بعد تصحيح نياتكم فإن الجزاء واقع لا يتخلف أبدا ولا يتغير ولايتبدل ومتى يقع هذا الموعود الكائن لا محالة؟ والجواب يقع فى يوم الفصل ،وما هو يوم الفصل ؟ الجواب يوم يحضر الله الشهود من الملائكة والرسل ويفصل بين الناس ،ومتى يكون يوم الفصل؟ والجواب "إذا النجوم طمست" أى ذهب نورها ومحى "وإذا السماء فرجت" أى انشقت وتصدعت "وإذا الجبال نسفت" أى فتت وإذا الرسل أقتت أى حدد لها وقت معين تحضر فيه وهو يوم الفصل وما أدراك ما يوم الفصل تفخيم لشأنه وإعلام بهوله "ويل يومئذللمكذبين"أى يوم الفصل يقع العذاب الهائل الكبير للمكذبين بالله وآياته ولقائه ورسوله.

الشرح والتحليل

المسألة الأولى : القسم بالمرسلات عرفا : الناظر المتأمل فى آيات القسم الواردة فى الكتاب العزيز يقف على دلالات غير متناهية لا تنقطع بإدامة النظر والتأمل فيها ، فالبارى جل وعلا أقسم بجميع مخلوقاته المرئية سواء أكانت علوية كالقسم بالسماء وبالنجم وبالشمس ، أو أرضية كالقسم بالأرض والأماكن المقدسة، والقسم بحياته – صلى الله عليه وسلم– ، أو غير المرئية كالملائكة والجن والروح وسائر الغيبيات التى لا نبصرها ولا تقف عليها حواسنا ، وقد جمع المولى جل ذكره هذه الأمور فى آية واحدة

غاية فى الإيجاز والبيان قال تعالى : " فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (الحاقة38،39) ، والحكمة من القسم بالمخلوقات أمران:

أ- تعظيم شأنها فهو سبحانه وتعالى يقسم بها لبيان سمو مكانتها وعظم منزلتها ، فيكون القسم من قبيل التشريف لها ، كما أقسم سبحانه وتعالى بحياة النبى – صلى الله عليه وسلم- فى قوله:" لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ -الحجر72-

"قال ابن عباس- رضى الله عنهما- ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم عليه من محمد – صلى الله عليه وسلم- ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره قال تعالى: (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)

يقول وحياتك وعمرك وبقائك فى الدنيا إنهم لفى سكرتهم يعمهون "([1])

2-أن يلفت أنظار الخلق إليها لما فيها من دلالة على كمال القدرة وعجائب الصنعة وعظم الخالق وعجز سواه عن خلق مثلها وبالتالى تفرده تعالى بالقدرة والوحدانية.

المسألة الثانية: قوله تعالى :"والمرسلات عرفا" للمفسرين فى بيان المراد من هذه الآية وجوه:

أحدها : أنها الرياح يَتْبَعُ بعضُها بعضاً ، رواه أبو العُبَيْدَينِ ، عن ابن مسعود ، والعوفي عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد ، وقتادة .

1 - تفسير القرآن العظيم ج2 ص535ط دار الحديث

الثاني : أنها الملائكة التي أرسلت بالمعروف من أمر الله ونهيه ، رواه مسروق عن ابن مسعود ، وبه قال أبو هريرة ، ومقاتل . وقال الفراء : هي الملائكة .

فأما قوله تعالى : «عُرْفاً» فيقال : أُرْسِلتْ بالمعروف ، ويقال : تَتَابَعَتْ كعُرْفِ الفَرَسِ . والعرب تقول : يركب الناس إلى فلان عُرْفاً واحداً : إذا توجهوا إليه فأكثروا . قال ابن قتيبة : يريد أن الملائكة متتابعة بما ترسَل به . وأصله من عُرْف الفَرَسِ ، لأنه سطر مستوٍ بعضه في إثر بعض ، فاستعير للقوم يتبع بعضُهم بعضاً .

الثالث : أنهم الرسل بما يعرفون به من المعجزات ، وهذا معنى قول أبي صالح ، ذكره الزجاج .

الرابع : الملائكة والريح ، قاله أبو عبيدة . قال : ومعنى «عُرْفاً» : يتبع بعضها بعضاً . يقال : جاؤوني عُرْفاً .([1])

الخامس:قول الإمام الرازى :من الناس من حمل بعض هذه الكلمات الخمسة على القرآن ، وعندي أنه يمكن حمل جميعها على القرآن ، فقوله : "والمرسلات " المراد منها الآيات المتتابعة المرسلة على لسان جبريل عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وقوله :" عُرْفاً " أي نزلت هذه الآيات بكل عرف وخير وكيف لا وهي الهادية إلى سبيل النجاة والموصلة إلى مجامع الخيرات " فالعاصفات عَصْفاً " فالمراد أن دولة

---

1 انظر زاد المسير لابن الجوزى ج8 ص444ط المكتب الإسلامى بيروت سنة 1404الطبعة الثالثة والتفسير الكبير ج30ص232ط دار الكتب العلمية بيروت سنة 2000م والنكت والعيون للماوردى ج6ص175ط دار الكتب العلمية بيروت راجعه وعلق عليه السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم

الإسلام والقرآن كانت ضعيفة في الأول ، ثم عظمت وقهرت سائر الملل والأديان ، فكأن دولة القرآن عصفت بسائر الدول والملل والأديان وقهرتها ، وجعلتها باطلة دائرة ، وقوله : "والناشرات نَشْراً " المراد أن آيات القرآن نشرت آثار الحكمة والهداية في قلوب العالمين شرقاً وغرباً ، وقوله : "فالفارقات فَرْقاً " فذلك ظاهر ، لأن آيات القرآن هي التي تفرق بين الحق والباطل ، ولذلك سمي الله تعالى القرآن فرقاناً ، وقوله : "فالملقيات ذِكْراً " فالأمر فيه ظاهر ، لأن القرآن ذكر ، كما قال تعالى :"ص والقرءان ذِى الذكر " – ص : 1 – " وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ " – الزخرف : 44 – " وهذا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ " – الأنبياء : 50 – ،وتذكرة كما قال : "وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ " – الحاقة : 48 – ، وذكرى كما قال : "ذكرى للعالمين "–الأنعام : 90 – فظهر أنه يمكن تفسير هذه الكلمات الخمسة بالقرآن ، وهذا وإن لم يذكره أحد فإنه محتمل .([1])

السادس: يحتمل أن يكون المراد بالمرسلات السحاب، لما فيها من نعمة ونقمة، عارفة بما أرسلت فيه ومن أرسلت إليه.

السابع: إنها الزواجر والمواعظ.

و " عرفا " على هذا التأويل متتابعات كعرف الفرس، قاله ابن مسعود.

وقيل: جاريات، قاله الحسن، يعني في القلوب.

وقيل: معروفات في العقول.([2])

1 - التفسير الكبير للرازي ج30 ص234

2 - النكت والعيون ج6ص176 الجامع لأحكام القرآن ج19 ص155

وبالتأمل فى جملة الأقوال السابقة نجد أن لفظ المرسلات يحتملها جميعا ،فيجوز إطلاقه على الريح والملائكة والقرآن والسحب والمواعظ والزواجر ولا منافاة بينها فحمل اللفظ على العموم أولى من تخصيصه ببعض أفراده دون بعض.

قال الإمام الطبري –رحمه الله تعالى –:"والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالمرسلات عرفا، وقد ترسل عُرْفا الملائكة، وترسل كذلك الرياح، ولا دلالة تدلّ على أن المعنيّ بذلك أحد الحِزْبين دون الآخر، وقد عمّ جلّ ثناؤه بإقسامه بكل ما كانت صفته ما وصف، فكلّ من كان صفته كذلك، فداخل في قسمه ذلك مَلَكا أو ريحا أو رسولا من بني آدم مرسلا."([1])

وذهب الحافظ ابن كثير – رحمه الله– إلى ترجيح القول بأن المرسلات هى الرياح فقال: والأظهر أن: "الْمُرْسَلات" هي الرياح، كما قال تعالى: " وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ " – الحجر : 22–، وقال تعالى: " وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ " –الأعراف : 57– وهكذا العاصفات هي: الرياح، يقال: عصفت الريح إذا هَبَّت بتصويت، وكذا الناشرات هي: الرياح التي تنشر السحاب في آفاق السماء، كما يشاء الرب عز وجل.([2])

المسألة الثالثة: قوله تعالى :"فالعاصفات عصفا" اختلف المفسرون فى بيان المراد من هذه الآية على ثلاثة أقوال:

1 - جامع البيان ج24 ص124وص125

2 - تفسير القرآن العظيم ج8 ص297

الأول:الرياح الشديدة الهبوب قاله الجمهور قال الطبري- رحمه الله- فالرياح العاصفات عصفا، يعني: الشديدات الهبوب السريعات الممرّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

وروى ذلك عن على وابن مسعود وابن عباس –رضى الله عنهم- ومجاهد وأبى صالح وغيرهم.([1])

الثانى : الملائكة قاله مسلم بن صبيح قال الزجاج : الملائكة تعصف بروح الكافر، يقال: عصف بالشئ أي أباده وأهلكه، وناقة عصوف أي تعصف براكبها، فتمضى كأنها ريح في السرعة، وعصفت الحرب بالقوم أي ذهبت بهم.([2])

الثالث : أنها الآيات المهلكة كالزلازل والخسوف .وفي قوله « عصفاً » وجهان :

أحدهما : ما تذروه في جريها .

الثاني : ما تهلكه بشدتها .([3])

المسألة الرابعة:قوله تعالى""والناشرات نشرا"اختلفت الروايات الواردة عن أهل التأويل فى بيان المراد من ذلك إلى خمس روايات:

1- قال ابن مسعود ومجاهد: هي الرياح يرسلها الله تعالى نشرا بين يدي رحمته، أي تنشر السحاب للغيث.

---

1 - جامع البيان ج24 ص125بتصرف

2 -الجامع لأحكام القرآن ج19 ص155

3 انظر النكت والعيون ج 6ص 176والجامع لأحكام القرآن ج19 ص155

وروى ذلك عن أبي صالح.وعنه أيضا: الأمطار، لأنها تنشر النبات، فالنشر بمعنى الإحياء، يقال: نشر الله الميت وأنشره أي أحياه..

2-روى عنه السدي: أنها الملائكة تنشر كتب الله عز وجل.

3-قال القرطبى: الملائكة الموكلون بالسحب ينشرونها وروى الضحاك عن ابن عباس قال: يريد ما ينشر من الكتب وأعمال بني آدم.

4-قال الضحاك: إنها الصحف تنشر على الله بأعمال العباد.

5-وقال الربيع: إنه البعث للقيامة تنشر فيه الارواح.وقال: " والناشرات "بالواو، لانه استئناف قسم آخر.([1])

والأولى حمل اللفظ على العموم دون تخصيص ببعض معانيه قال شيخ المفسرين :وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالناشرات نشرا، ولم يَخْصُص شيئا من ذلك دون شيء، فالريح تنشر السحاب، والمطر ينشر الأرض، والملائكة تنشر الكتب، ولا دلالة من وجه يجب التسليم له على أن المراد من ذلك بعض دون بعض، فذلك على كل ما كان ناشرا.([2])

المسألة الخامسة:قوله تعالى "فالفارقات فرقا"فيه أربعة أقوال:

أحدها : الملائكة التي تفرق بين الحق والباطل ، قاله ابن عباس والأكثرون.

1 الجامع لأحكام القرآن ج19 ص155 وجامع البيان ج24 ص126وص127

2 - جامع البيان ج24ص127

الثاني : الرسل الذين يفرقون بين الحلال والحرام ، قاله أبو صالح وحكاه الزجاج.

الثالث : أنها الرياح تفرق بين السحاب فتبدده قاله مجاهد .

الرابع : القرآن .وفي تأويل قوله « فَرْقاً » على هذا القول وجهان :

أحدهما : فرقه آية آية ، قاله الربيع .

الثاني : فرق فيه بين الحق والباطل ، قاله قتادة .([1])

ولا تعارض ولا منافاة بين الأقوال السابقة لأن اللفظ يحتملها جميعا قال الطبرى –رحمه الله–:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: أقسم ربنا جلّ ثناؤه بالفارقات ، وهي الفاصلات بين الحق والباطل، ولم يخصص بذلك منهنّ بعضا دون بعض، فذلك قَسَم بكلّ فارقة بين الحقّ والباطل، مَلَكا كان أو قرآنا، أو غير ذلك.([2])

المسألة السادسة:قوله تعالى:"فالملقيات ذكرا"فيه قولان :

أحدهما : الملائكة تلقي ما حملت من الوحي والقرآن إلى من أرسلت إليه من الأنبياء ، قاله الكلبي .

الثاني : الرسل يلقون على أممهم ما أنزل إليهم ، قاله قطرب .

---

1 النكت والعيون ج 6ص 176وزاد المسير ج8 ص464 والجامع لأحكام القرآن ج19 ص155

2 - جامع البيان ج24 ص128

قال الماوردى :ويحتمل ثالثاً : أنها النفوس تلقي في الأجساد ما تريد من الأعمال . ([1])

المسألة السابعة:فى تفسير قوله تعالى :"عذرا أو نذرا" أربعة أقوال:

الأول :تلقى الوحي إعذارا من الله أو إنذارا إلى خلقه من عذابه، قاله الفراء.

الثانى :روى عن أبي صالح قال: يعني الرسل يعذرون وينذرون.

الثالث :روى سعيد عن قتادة "عذرا" قال: عذرا لله جل ثناؤه إلى خلقه، ونذرا للمؤمنين ينتفعون به ويأخذون به.

الرابع :روى الضحاك عن ابن عباس." عذرا " أي ما يلقيه الله جل ثناؤه من معاذير أوليائه وهي التوبة " أو نذرا " ينذر أعداءه.([2])

المسألة الثامنة: اتجهات المفسرين فى بيان المراد من هذه الصفات الخمس:

بالنظر والتأمل فى جملة الأقوال الواردة فى تفسير هذه الصفات الخمس "المرسلات والعاصفات والناشرات والفارقات والملقيات" نجد أن للمفسرين فيها اتجاهات مختلفة:

الأول : أن المراد بها كلها الملائكة قال الزمخشرى –رحمه الله–:أقسم سبحانه بطوائف من الملائكة ، أرسلهنّ بأوامره فعصفن في مضيهن كما تعصف الرياح ، تخففاً في امتثال أمره ، وبطوائف منهم نشرن أجنحتهن

1 - النكت والعيون ج6 ص 177وزاد المسير ج8ص 464

2 - الجامع لأحكام القرآن ج19 ص156

في الجو عند انحطاطهن بالوحي . أو نشرن الشرائع في الأرض . أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين ، ففرّقن بين الحق والباطل ، فألقين ذكراً إلى الأنبياء " عُذْراً " للمحقين " أَوْ نُذْراً " للمبطلين.([1])

الثانى: المراد بالمرسلات وما بعدها الرياح: قال العلامة الزمخشرى : " أو أقسم برياح عذاب أرسلهن . فعصفن ، وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجوّ ففرّقن بينه ، كقوله : "وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً " –الروم : 48 –"([2])

ورجح هذا القول من المتأخرين فضيلة الشيخ محمد الغزالى –رحمه الله – فقال: هذه الجمل كلها فى وصف الريح التى تنبئنا النشرات الجوية عن مصادر هبوبها وتحديد وجهاتها وصدر السورة هنا يشبه صدر سورة الذاريات. والهواء أساس الحياة البشرية سواء وقف ساكنا أوهب عليلا أو اشتدعاصفا....عندما يهدأ الجو نشعر بالهواء لطيفا وعندما يثور فى بعض الأقطار نراه يقصف الأشجار ويقذف بالسيارات من مكان لآخر وهو يبعثر السحاب هنا وهناك ويفرقها لتهمى بالغيث حيث شاء الله ، ونتدبر قوله تعالى: "فالملقيات ذكرا عذرا أو نذرا"

الذكر هنا هو القرآن والرياح هى الوسط الناقل للأمواج الصوتية وسامعوا الوحى بين منتفع به وصاد عنه إنه عذر للمهتدين ونذير للضالين ونشير هنا إلى أن جمهور المفسرين يظن الآيتين الأخيرتين وصفا للملائكة وقد لجأ إلى تقطيع المعنى على هذا النحو لأنه لم يكن يدرى أن الهواء هو الوسط الناقل للأصوات مع أن ذلك أصبح من الحقائق المدروسة فى علم

1 - الكشاف ج4 ص678

2 الكشاف ج 4ص678

"الفيزياء" الطبيعة ،وقد أقسم الله بالرياح ونعوتها المتعاطفة على أن البعث حق وأن جزاء الكفر والإيمان لا شك فيه.([1])

الاتجاه الثالث: أن الصفات الثلاثة الأول للرياح والصفة الرابعة للآيات – القرآن– والصفة الخامسة للملائكة

قال صاحب الفتوحات الإلهية فى حاشيته:أقسم الله تعالى بصفات خمس موصوفها محذوف فجعلها بعضهم الرياح فى الكل ،وجعلها بعضهم الملائكة فى الكل ... وغايربعضهم فجعل الصفات الثلاث الأول لموصوف واحد هو الرياح وجعل الرابعة لموصوف ثان وهو الآيات وجعل الخامسة لموصوف ثالث وهو الملائكة وعلى صنيعه ، فالتغاير بين الصفات الثلاث الأول من حيث إن المرسلات المراد بها رياح العذاب لأنه شاع استعمال العذاب فى ريح العذاب وإن العاصفات المراد بها الرياح العديدة كما قال وإن الناشرات المراد بها الرياح تنشر بالمطر فالموصوف الثلاثة وإن كان رياح لكنها قد اختلفت باختلاف صفاتها.([2])

وقال صاحب التحرير والتنوير:فيجوز أن يكون المراد بموصوفات هذه الصفات نوعا واحدا ويجوز أن يكون نوعين أو أكثر من المخلوقات العظيمة ،ومشى صاحب الكشاف على أن المقسم بها كلهم ملائكة.([3])

المسألة التاسعة: أوجه الترتيب بين هذه الصفات الخمسة:

1 - نحو تفسير موضوعى للشيخ محمد الغزالى ص494
2 - حاشية الجمل على الجلالين ج8 ص200 ط دار الكتب العلمية
3 - التحرير والتنوير ج 29ص419ط الدار التونسية

لما كان العصوف للعواصف يتعقب الهبوب ، عطف بالفاء تعقيباً وتسبيباً فقال : "فالعاصفات " أي الشديدات من الرياح عقب هبوبها ومن الملائكة عقب شقها للهواء بما لها من كبر الأجسام والقوة على الإسراع التام "عصفاً " أي عظيماً بما لها من النتائج الصالحة .

ولما كان نشر الرياح للسحاب متراخياً عن هبوبها ومتباطئاً في الثوران وكذا نشر الملائكة لأجنحتها كما يفعل الطائر القوي في طيرانه ، عطف بالواو الصالحة للمعية والتعقب بمهلة وغيرها قوله : "والناشرات " أي للسحاب والأجنحة على وجه اللين في الجو وللشرائع التي تنشر العدل بين الناس " نشراً "

ولما كان السحاب يجتمع بعد الثوران من مجال البخارات ويتكاثف ثم يحمل الماء ، ثم بعد الحمل تضغط السحاب حتى يتحامل بعضه على بعض فتنفرق هناك فُرَج يخرج منها ، طوى ذلك وذكر هذا فقال بالفاء الفصيحة : "فالفارقات فرقاً "أي للسحاب حتى يخرج الودق من خلاله وللأجنحة وبين الحق والباطل والحب والنوى – وغير ذلك من الأشياء .ولما كانت السحاب عقب الفرق ينزل منها ما في ذلك السحاب من ماء أو ثلج أو برد أو صواعق أو غير ذلك مما يريده الله مما يبعث على ذكر الله ولا بد والملائكة تلقي ما معها من الروح المحيي للقلوب ، قال معبراً بفاء التعقيب والتسبيب : "فالملقيات ذكراً "أطلق عليه الذكر لأنه سببه إن كان محمول السحاب أو محمول الملائكة ، وقد يكون محمول الملائكة ذكر الله حقيقة ، ولا يخفى أنهما سبب لإصلاح الدين والدنيا.([1])

1 - نظم الدرر ج 21ص 165و ص166

قال الإمام الرازى: قال القفال : الوجه في دخول الفاء في بعض ما وقع به القسم ، والواو في بعض مبني على الأصل ، وهو أن عند أهل اللغة الفاء تقتضي الوصل والتعلق ، فإذا قيل : قام زيد فذهب ، فالمعنى أنه قام ليذهب فكان قيامه سبباً لذهابه ومتصلاً به ، وإذا قيل : قام وذهب فهما خبران كل واحد منهما قائم بنفسه لا يتعلق بالآخر ، ثم إن القفال لما مهد هذا الأصل فرع الكلام عليه في هذه الآية بوجوه لا يميل قلبي إليها ، وأنا أفرع على هذا الأصل فأقول : أما من جعل الأولين صفتين لشيء والثلاثة الأخيرة صفات لشيء واحد ، فالإشكال عنه زائل ، وأما من جعل الكل صفات لشيء واحد ، فنقول : إن حملناها على الملائكة ، فالملائكة إذا أرسلت طارت سريعاً ، وذلك الطيران هو العصف ، فالعصف مرتب على الإرسال فلا جرم ذكر الفاء ، أما النشر فلا يترتب على الإرسال ، فإن الملائكة أول ما يبلغون الوحي إلى الرسل لا يصير في الحال ذلك الدين مشهوراً منتشراً ، بل الخلق يؤذون الأنبياء في أول الأمر وينسبونهم إلى الكذب والسحر والجنون ، فلا جرم لم يذكر الفاء التي تفيد بل ذكر الواو ، بلى إذا حصل النشر ترتب عليه حصول الفرق بين الحق والباطل وظهور ذكر الحق على الألسنة فلا جرم ذكر هذين الأمرين بحرف الفاء ، فكأنه والله أعلم قيل : يا محمد إني أرسلت الملك إليك بالوحي الذي هو عنوان كل سعادة ، وفاتحة كل خير ، ولكن لا تطمع في أن ننشر ذلك الأمر في الحالة ، ولكن لا بد من الصبر وتحمل المشقة ، ثم إذا جاء وقت النصرة أجعل دينك ظاهراً منتشراً في شرق العالم وغربه ، وعند ذلك الانتشار يظهر الفرق فتصير الأديان الباطلة ضعيفة ساقطة ، ودينك هو الدين الحق ظاهراً غالباً ، وهنالك يظهر ذلك الله على الألسنة ، وفي المحاريب وعلى المنابر ويصير العالم مملوءً من ذكر الله ، فهذا إذا حملنا هذه

الكلمات الخمس على الملائكة ، ومن عرف هذا الوجه أمكنه ذكر ما شابهه في الرياح وسائر الوجوه ، والله أعلم .([1])

وللإمام الألوسي وجه آخر فى الترتيب بين هذه الصفات الخمسة فقال وعطف الناشرات على ما قبل الواو ظاهر للتغاير بالذات بينهما وعطف العاصفات على المرسلات والفارقات على الناشرات وكذا ما بعد بالفاء لتنزيل تغاير الصفات منزلة تغاير الذات كما في قوله:

يا لهف زيادة للحارث الصابح فالغانم فالآيب ... وهي للدلالة على ترتيب معاني الصفات في الوجود أي الذي صبح فغنم فآب وترتيب مضي الأمر على الإرسال به والأمر بانقاذه ظاهر، وأما ترتيب القاء الذكر إلى الأنبياء عليهم السلام على الفرق بين الحق والباطل مع ظهور تأخر الفرق عن الإلقاء ، فقيل لتأويل الفرق بإرادته فحينئذ يتقدم على الإلقاء ، وقيل لتقدم الفرق على الإلقاء من غير حاجة إلى أن يؤول بإرادته لأنه بنفس نزولهم بالوحي الذي هو الحق المخالف للباطل الذي هو الهوى ومقتضى الرأي الفاسد وإنما العلم به متأخر، ومن هذا يظهر ترتيب الفرق على نشر الأجنحة إذ الحاصل عليه نشرن أجنحتهن للنزول فنزلن فألقين ،وهو غير ظاهر على ما قبله لأن إرادة الفرق تجامع النشر ،وكذا إرادته إذا أول أيضاً بحسب الظاهر بل ربما يقال إن تلك الإرادة قبل ، وقيل إن الفاء في ذلك للترتيب الرتبي ضرورة أن إرادة الفرق أعلى رتبة من النشر، وقيل إنها فيه وفيما بعده لمجرد الاشعار بأن كلاً من الأوصاف المذكورة أعني النشر والفرق مستقل بالدلالة على استحقاق الطوائف الموصوفة بها

1 - التفسير الكبير ج 30ص235

للتفخيم والإجلال بالإقسام بهن ،فإنه لو جيء بها على ترتيب الوقوع لربما فهم أن مجموع الثلاثة المترتبة هو الموجب لما ذكر من الاستحقاق .([1])

وبالنظر والتأمل فى الأوجه السابقة يتبين لنا ما يأتى:

أ- التفرقة فى أصل الاستعمال اللغوى بين "الفاء"و"الواو" فالفاء تقتضى العطف والترتيب والسببية فإذا قيل :قام زيد فذهب فالقيام سبب للذهاب ومتصل به أى قام زيد ليذهب، أما "الواو" فتقتضى العطف والتغاير ولا تدل على ترتيب فإذا قلت :قام زيد وذهب فالقيام والذهاب خبران متغايران لا يتعلق أحدهما بالآخر.

ب- التفرقة بين كون هذه الصفات الخمسة لموصوف واحد أو لأكثر من موصوف، فإن قلت لأكثر من موصوف فلا إشكال، أما إذا كانت لموصوف واحد وهو إما الرياح أو الملائكة، فتوجيه النسق على معنى الرياح:أن العصف مترتب على إرسال الرياح وهبوبها فناسب استعمال الفاء التى تقتضى العطف والسببية فقال "فالعاصفات عصفا" ، ولما كان نشر الرياح للسحاب متراخيا عن هبوبها ناسب العطف بالواو التى لا تفيد ترتيبا أو تعقيبا فقال:"والناشرات نشرا" ، وبعد تشبع السحاب ببخار الماء ويتحامل بعضها على بعض ويترتب على ذلك تفرق السحاب وفرجه حتى ينزل المطر بينها ناسب العطف بالفاء،ولما كانت السحب عقب الفرق ينزل منها ماء المطر وتحدث الصواعق وهذه الظواهر الطبيعية تقتضى ذكر القادر جل وعلا عطف على ذلك بالفاء فقال"فالملقيات ذكرا".

وإذا قلنا المراد بها الملائكة فالمعنى أن الملائكة إذا أرسلت طارت سريعا وذلك الطيران هو العصف فالعصف مترتب على الإرسال فناسب العطف

1 - روح المعانى ج29 ص169وص170

بفاء السببية، أما النشر فليس مترتبا على الإرسال؛لأن الرسل يحتاجون إلى وقت ليس بالقصير حتى يبلغوا رسالاتهم وينشروها بين أقوامهم بسبب ما يلاقون من صد عن ذكر الله وإيذاء من أقوامهم فناسب العطف بالواو التى لا تفيد ترتيبا أو تعقيبا ، ولما حصل نشر الوحى ترتب عليه الفرق بين الحق والباطل استعمل الفاء المفيدة للترتيب والتعقيب.

ج- استعمال الواو فى قوله "والناشرات" يدل على التغاير بين هذه الصفات وبين ما قبلها فنزل تغاير الصفات منزلة تغاير الذات ، فترتيب العصف على الإرسال ظاهر لأنه سببه ، أما ترتيب إلقاء الذكر بعد الفرق بين الحق والباطل مع أن الظاهر أن يكون قبله لا بعده فيجاب على هذا الإشكال من وجوه:

1- أن المراد إرادة الفرق والإرادة متقدمة على الإلقاء نفسه.

2- أن مجرد نزول الوحى تفرقة بين الحق والباطل والمتأخر هو العلم به فلا حاجة للتأويل السابق.

3- أن الفاء للترتيب الرتبي لا الزمانى فإرادة الفرق أعلى رتبة من الإلقاء والنشر ولذلك عطف عليهما.

4- الدلالة على أن النشر والفرق مستقل فى استحقاق الطوائف الموصوفة بها للتفخيم والإجلال بالأقسام ، فلو جئ بها مرتبة على ما قبلها لفهم أن مجموع الصات هو الموجب للاستحقاق المذكور.

المسألة العاشرة: قوله تعالى "إنما توعدون لواقع"هذا هو المقسم عليه بهذه الأقسام، أي: ما وعدتم به من قيام الساعة، والنفخ في الصور، وبعث الأجساد وجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، ومجازاة كل عامل

بعمله، إن خيرا فخير وإن شرا فشر، إن هذا كله " لَوَاقِع " أي: لكائن لا محالة.([1])

وهذا ما ذهب إليه جمهور المفسرين أن الموعود به يوم القيامة ،وذهب الكلبى إلى أنه كل ما وعدوا به من خير أوشر قال الرازى –رحمه الله–:"إن الذي توعدون به من مجيء يوم القيامة لكائن نازل ، وقال الكلبي : المراد أن كل ما توعدون به من الخير والشر لواقع ، واحتج القائلون بالتفسير الأول بأنه تعالى ذكر عقيب هذه الآيات ، علامات يوم القيامة ، فدل على أن المراد من هذه الآية هو القيامة فقط ([2].)

المسألة الحادية عشرة: قوله تعالى (إذا النجوم طمست) أى ذهب ضوؤها، ومُحِيَ نورها كطَمْسِ الكتاب ، يقال : طمس الشيء إذا درس ، وطمس فهو مطموس ، والريح تطمس الآثار ، فتكون الريح طامسة ، والأثر طامس بمعنى مطموس .([3]) قال الإمام الرازى: وبالجملة فيحتمل أن يكون المراد محقت ذواتها ، وهو موافق لقوله : "انتثرت " – الإنفطار : 2 – و " انكدرت " – التكوير : 2 – وأن يكون المراد محقت أنوارها ، والأول أولى ، لأنه لا حاجة فيه إلى الإضمار . ويجوز أن يمحق نورها ثم تنتثر ممحوقة النور.([4])

---

1 - تفسير ابن كثير ج8 ص297

2 - التفسير الكبير ج 30ص236

3 - اللباب فى علوم الكتاب لابن عادل الحنبلى ج 20ص67ط دار الكتب العلمية الطبعة الأولى سنة 1998م تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون

4 - التفسير الكبير ج30 ص236

المسألة الحادية عشرة: قوله تعالى (وإذا السماء فرجت) الفرج الشق يقال : فرجه الله فانفرج ، وكل مشقوق فرج ، فههنا قوله : فرجت أي شقت نظيره " إِذَا السماء انشقت " – الانشقاق : 1 – " وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السماء بالغمام " – الفرقان : 25 وقال ابن قتيبة : معناه فتحت ، نظيره " وفتحت السماء " – النبأ : 19 – قال الشاعر : الفارجي باب الأمير المبهم...([1])

فصورت آيات القرآن الكريم ما يحدث من أهوال يوم القيامة من مناظر مهيبة ومشاهد مخيفة تتمثل فى تغير نواميس الكون وقهر العالم العلوى المتمثل فى تكوير الشمس قال تعالى:"إذا الشمس كورت" وطمس النجوم وانكدارها قال تعالى "وإذا النجوم طمست" وقال جل ذكره "وإذا النجوم انكدرت" وقال "وإذا الكواكب انتثرت" وما يحدث للسماء من تصدع وانفطار فإذا كان يوم القيامة فإن السماء تتشقق وتتفطر ، وتكون فيها الفروج كما قال تعالى : " وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السمآء بالغمام " – الفرقان : 25 – . وقال تعالى : " فَإِذَا انشقت السمآء فَكَانَتْ وَرْدَةً "– الرحمن : 37 – الآية . وقال تعالى : " فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الواقعة وانشقت السمآء فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ " – الحاقة : 15 – 16 – الآية . وقال تعالى : " إِذَا السمآء انشقت وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ" – الإنشقاق : 1 – 2 – ، وقال تعالى : "إِذَا السمآء انفطرت " – الإنفطار : 1 – ، وقال تعالى : " يَوْماً يَجْعَلُ الولدان شِيباً السَّمَآءُ مُنفَطِرٌ بِهِ " – الإنفطار : 17 – 18 – . وقال تعالى : " فَإِذَا النجوم طُمِسَتْ وَإِذَا السمآء فُرِجَتْ "– المرسلات : 8 – 9 – .

---

1 - المصدر السابق ج 30ص236والبيت ذكره سيبويه فى الكتاب ج1ص185ط دار الجيل الطبعة الأولى تحقيق عبد السلام هارون

وما يحدث للعالم السفلى من خسف ونسف وزلازل قال تعالى: "إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها" – الزلزلة 1 ،2– وما تصير إليه الجبال من تسيير قال تعالى :"ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا" الكهف –47–وقال : "وإذا الجبال سيرت" – التكوير3– ومايؤول إليه أمرها من نسف وإزالة قال تعالى:"ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرهاقاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا" – طه105إلى107–وقال جل ذكره: "وإذا الجبال نسفت"

المسألة الثانية عشرة:تفسير قوله تعالى :(وإذا الجبال نسفت) أى ذهب بها فلا يبقى لها عين ولا أثر

وفى قوله "نسفت" وجهان أحدهما : نسفت كالحب المغلث إذا نسف بالمنسف ، ومنه قوله : " لَّنُحَرّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ " – طه : 97 – ونظيره " وَبُسَّتِ الجبال بَسّاً " – الواقعة : 5 – " وَكَانَتِ الجبال كَثِيباً مَّهِيلاً " – المزمل : 14 – " فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبّى نَسْفاً " – طه : 105 – والثاني : اقتلعت بسرعة من أماكنها من انتسفت الشيء إذا اختطفته.([1])

واعلم أنه جل وعلا بين الأحوال التي تصير إليها الجبال يوم القيامة في آيات من كتابه . فبين أنه ينزعها من أماكنها . ويحملها فيدكها دكاً . وذلك في قوله : " فَإِذَا نُفِخَ فِي الصور نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ وَحُمِلَتِ الأرض والجبال فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً " – الحاقة : 13–14 – .

ثم بين أنه يسيرها في الهواء بين السماء والأرض . وذلك في قوله " وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصور فَفَزِعَ مَن فِي السماوات وَمَن فِي الأرض إِلاَّ مَن شَآءَ الله

1 التفسير الكبير ج 30ص236

وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ وَتَرَى الجبال تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السحاب صُنْعَ الله الذي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ " – النمل : 87–88 – ، وقوله : " وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الجبال وَتَرَى الأرض بَارِزَةً " – الكهف : 47 – الآية ، وقوله : " وَإِذَا الجبال سُيِّرَتْ " – التكوير : 3 – ، وقوله تعالى : " وَسُيِّرَتِ الجبال فَكَانَتْ سَرَاباً " – النبأ : 20 – ، وقوله تعالى : " يَوْمَ تَمُورُ السمآء مَوْراً وَتَسِيرُ الجبال سَيْراً "– الطور : 9–10 – .

ثم بين أنه يفتتها ويدقها كقوله " وَبُسَّتِ الجبال بَسّاً " – الواقعة : 5 – أي فتت حتى صارت كالبسيسة ، وهي دقيق ملتوت بسمن أو نحوه على القول بذلك ، وقوله : " وَحُمِلَتِ الأرض والجبال فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً " – الحاقة : 14 – .

ثم بين أنه يصيرها كالرمل المتهايل ، وكالعهن المنفوش؟ وذلك في قوله : " يَوْمَ تَرْجُفُ الأرض والجبال وَكَانَتِ الجبال كَثِيباً مَّهِيلاً " – المزمل : 14 – ، وقوله تعالى : " يَوْمَ تَكُونُ السمآء كالمهل وَتَكُونُ الجبال كالعهن " – المعارج : 8–9 – في « المعارج ، والقارعة » . والعهن : الصوف المصبوغ . ومنه قول زهير بن أبي سلمى في معلقته .

كأن فتات العهن في كل منزل ... نزلن به حب الفنا لم يحطم ([1])

ثم بين أنها تصير كالهباء المنبث في قوله : " وَبُسَّتِ الجبال بَسّاً فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنبَثّاً " – الواقعة : 5–6 – ثم بين أنها تصير سراباً ، وذلك في قوله : " وَسُيِّرَتِ الجبال فَكَانَتْ سَرَاباً " وقد بين في موضع آخر : أن السراب لا شيء . وذلك قوله تعالى : " حتى إِذَا جَآءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً "–

1 - معلقة زهير بن أبى سلمى ص2

النور : 39 – وبين أنه ينسفها نسفاً في قوله هنا : " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الجبال فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفا " .وقوله هنا وإذا الجبال نسفت.([1])

المسألة الثالثة عشرة: قوله تعالى (وإذا الرسل أقتت) أصله وُقتت بالواو في أوله ، يقال : وَقَّت وَقْتاً ، إذا عين وقتاً لعمل ما ، مشتقاً من الوقت وهو الزمان ، فلما بني للمجهول ضمّت الواو...ولا خلاف في أن " أُقِّتَت " مشتقّ من الوقت كما علمت آنفاً ، وأصل اشتقاق هذا الفعل المبني للمجهول أن يكون معناه : جُعِلت وقتاً ، وهو أصل إسناد الفعل إلى مرفوعه ، وقد يكون بمعنى : وُقِّتَ لها وقتٌ على طريقة الحذف والإيصال.

وإذ كان " إذا" ظرفاً للمستقبل وكان تأجيل الرسل قد حصل قبل نزول هذه الآية ، تعيّن تأويل " أُقِّتَت "على معنى : حَانَ وقتها ، أي الوقت المعيَّن للرسل وهو الوقت الذي أخبرهم الله بأنْ يُنْذِرُوا أممهم بأَنَّهُ يحلّ في المستقبل غيرِ المعين ، وذلك عليه قوله : " لأيّ يوم أُجّلت لِيوم الفصل " فإن التأجيل يفسر التوقيت .

وقد اختلفت أقوال المفسرين الأولين في مَحْمَل معنى هذه الآية فعن ابن عباس " أُقِّتت " : جُمعت أي ليوم القيامة قال تعالى : " يوم يجمع الله الرسل " – المائدة : 109 – ، وعن مجاهد والنخعي " أقتت " أُجِّلَت . قال أبو علي الفارسي : أي جعل يوم الدين والفصل لها وقتاً .

قال في «الكشاف» : والوجه أن يكونَ معنى "وقتت" بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وهو يوم القيامة» اه([2]) . وهذا صريح في أنه يقال : وُقت

1 - انظر أضواء البيان للشنقيطى ج4ص 97ط دار الفكر1995م

2 - انظر الكشاف ج 4ص697

بمعنى أُحْضر في الوقت المعيَّن ، وسلمه شراح "الكشاف" وهو معنى مغفول عنه في بعض كتب اللغة أو مطوي بخفاء في بعضها .([1])

قال الإمام الرازى :في التأقيت قولان : الأول : وهو قول مجاهد والزجاج أنه تبيين الوقت الذي فيه يحضرون للشهادة على أممهم ، وهذا ضعيف ، وذلك لأن هذه الأشياء جعلت علامات لقيام القيامة ، كأنه قيل : إذا كان كذا وكذا كانت القيامة ، ولا يليق بهذا الموضع أن يقال : وإذا بين لهم الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم قامت القيامة لأن ذلك البيان كان حاصلاً في الدنيا ولأن الثلاثة المتقدمة هي الطمس والفرج والنسف مختصة بوقت قيام القيامة ، فكذا هذا التوقيت يجب أن يكون مختصاً بوقت قيام القيامة القول الثاني : أن المراد بهذا التأقيت تحصيل الوقت وتكوينه ، وهذا أقرب أيضاً إلى مطابقة اللفظ ، لأن بناء التفعيلات على تحصيل تلك الماهيات ، فالتسويد تحصيل السواد والتحريك تحصيل الحركة ، فكذا التأقيت تحصيل الوقت ثم إنه ليس في اللفظ بيان أنه تحصيل لوقت أي شيء ،وإنما لم يبين ذلك ولم يعين لأجل أن يذهب الوهم إلى كل جانب فيكون التهويل فيه أشد ، فيحتمل أن يكون المراد تكوين الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم ، وأن يكون هو الوقت الذي يجتمعون فيه للفوز بالثواب ، وأن يكون هو وقت سؤال الرسل عما أجيبوا به وسؤال الأمم عما أجابوهم ،كما قال :" فَلَنَسْئَلَنَّ الذين أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ المرسلين" – الأعراف: 6– وأن يكون هو الوقت الذي يشاهدون الجنة والنار والعرض والحساب والوزن وسائر أحوال القيامة ، وإليه

1 - التحرير والتنوير ج 29ص425و426وانظر الكشاف ج4ص679

الإشارة بقوله : "وَيَوْمَ القيامة تَرَى الذين كَذَبُواْ عَلَى الله وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ".([1])

وبالتأمل فيما سبق نجد أن كلمة"أقتت" بمعنى جمعت وأوعدت وبلغت ميقاتها الذى كانت تنتظره وفى زمن هذا التأقيت قولان: الأول: يوم الفصل الذى جعل للفصل والقضاء بين الرسل وأممهم قال تعالى: "يوم يجمع الله الرسل"- المائدة109- وسياق الآيات يرجح هذا القول لأن الحديث عن يوم الفصل وعلاماته.

الثانى: أن ذلك فى الدنيا أى الوقت المعين للرسل الذى أخبرهم الله أن ينذروا قومهم أو جمعت الرسل لميقاتها الذى وقتت لها فى إنزال العذاب على من كذبهم والأول أولى كما تقدم.

المسألة الرابعة عشرة: قوله تعالى :"لأى يوم أجلت" استفهام الغرض منه تعجب العباد من هول ذلك اليوم وشدته " يقول تعالى: لأي يوم أجلت الرسل وأرجئ أمرها؟ حتى تقوم الساعة، كما قال تعالى: " فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ " - إبراهيم : 47 ، 48- وهو يوم الفصل، كما قال " لِيَوْمِ الْفَصْلِ "([2])

المسألة الخامسة عشرة: قوله تعالى (ليوم الفصل وما أدراك ما يوم الفصل) أى وَمَآ أَدْرَاكَ أيها المخاطب " مَا يَوْمُ الفصل " ؟ إنه يوم هائل

1 - التفسير الكبير ج30 ص237

2 - تفسير القرآن العظيم ج8 ص298

شديد ، لا تحيط العبارة بكنهه ، ولا يعلم إلا الله – تعالى – وحده مقدار أهواله .

وقد جاء قوله تعالى " وما أدراك " فى القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة كلها جاء الجواب بعدها – كهذه الآية– إلا قوله: الْحَاقَّةُ (1) مَا الْحَاقَّةُ (2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (3)– سورة الحاقة– ، وكلها جاءت على أمر ذى شأن عظيم الأهمية وهام للغاية وأراد المولى عز وجل أن يبين ذلك الأمر لنا ويشرحه حتى نفهمه وهذه المواضع هى:

1– الْحَاقَّةُ (1) مَا الْحَاقَّةُ (2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (3)– سورة الحاقة–.

2– سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (26) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (27) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (28) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (29) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (30)–المدثر–.

3– وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (14) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (15) أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (16) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآَخِرِينَ (17) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (18) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (19)– المرسلات–.

4–5– وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (17) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (18) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (19)–الانفطار–.

6– كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (7) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (8) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (9) المطففين .

7– كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (18) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (19) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (20) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (21)المطففين .

8– فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (11) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (12) فَكُّ رَقَبَةٍ (13)– البلد–

9- إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3)-القدر-

10- الْقَارِعَةُ (1) مَا الْقَارِعَةُ (2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (3) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (4) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (5) - القارعة

11-فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (9) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (10) نَارٌ حَامِيَةٌ (11) -القارعة-

12- كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (4) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (5) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (6) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (7) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (8) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (9)-الهمزة-

13- "والسماء والَطارق (1)ومَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (2) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (3)-الطارق.

وبالنظر والتأمل فيما تقدم من آيات يتبين الآتى :

1-ذكرت عبارة وما أدراك فى وصف أمور ذات شأن كبير فى كتاب الله عز وجل ، وبما أن الله ذكرها فى سورة المرسلات قائلا "وما أدراك ما يوم الفصل" فتدل على أن يوم الفصل يوم ذو شأن عظيم وهام للغاية.

2-كلما وردت هذه العبارة "وما أدراك ما" فى الآيات الشريفة أتى بعدها إجابة لذلك السؤال وتفسيره بغاية الدقة لذلك الأمر العظيم انظر الجواب فى قوله تعالى" وما أدراك ماَ يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين" وقوله تعالى "ومَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (2) النَّجْمُ الثَّاقِبُ "-الطارق- وقوله تعالى وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (27) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (28) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (29) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (30) -المدثر- وقوله تعالى وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ

خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (4) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (5) –القدر–.

3– وردت عبارة وما أدراك فى أربع آيات تذكر أسماء القيامة – الحاقة ، ويوم الفصل ، ويوم الدين ، والقارعة– وهو يوم يفصل فيه بين الخلائق بالعدل ويجازى فيه العباد بالعدل والفضل.

4– وردت فى آيتين تذكر الكتابين " سجين وعليين" اللذين يسجل فيهما أعمال الخلق على اختلاف عقائدهم، فكتاب الفجار سجين ، وكتاب الأبرار عليون ، وذلك لإقامة الحجة عليهم وإثباتها ثم الحكم بالعدل للعصاة والفضل للطائعين.

5–وردت هذه العبارة فى أربع آيات تصف جهنم ودراكاتها " سقر والعقبة والحطمة ونار حامية" وهو عقاب أصحاب الكتاب سجين ، إذن وردت هذه العبارة فى وصف أمور هامة وهى تسجيل أعمال الخلق فى الكتابين ثم يوم الحساب وهناك المجازاة بالفضل للطائعين ثم العقاب بالعدل للكافرين فى جهنم .

6– وردت هذه العبارة مرتين فى أمر دنيوى :الأول :وهو علوى سماوى" الطارق" والوقوف على حقيقته ومعرفة أحواله يحتاج إلى فهم عميق وتأمل دقيق ورجاحة عقل و هذه العبارة مع ما تقدم تزيده تفخيما وتشويقا لمعرفة ماهية هذا الأمر العجيب فيأتى الجواب النجم الثاقب.

الثانى: هو ليلة القدر وهى ذات شأن ومقدار وهى خير أيام الدنيا ومع ذلك أبهمت فزادها هذا الإبهام تفخيما وتشويقا لمعرفة كنهها وصفاتها فجاء الجواب عنها بذكر صفاتها" لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3) تَنَزَّلُ

الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (4) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (5) –القدر– .

7–هذه العبارة وردت فى السور المكية فى الجزأين الأخيرين من كتاب الله وتتميز سور هذين الجزأين بوجازة العبارة وعمق المعنى مع ما يصحبها من إنذار شديد اللهجة وعظيم الوقع فى نفوس سامعيه ، والتحذير من مغبة ما عليه الكفار من غفلة وثبات عميق وغرق فى جاهليتهم العمياء وضلالاتهم المنكرة وما ترتب على ذلك من إعراضهم عن داعى الحق والسماع له فجاء هذا الإنذار أن انتبهوا واستيقظوا من ثباتكم فإن للكون إلها ومدبرا لشؤونه ومقدرا لأموره ، وأن الأمور لا تترك سدى بل هناك تكاليف يترتب عليها الحساب العادل والجزاء الوفاق إما إلى جنة أو إلى نار وهذه العبارة جاءت منسبكة فى هذا القالب المفعم بالتفخيم والتهويل فهى منسجمة معه تمام الانسجام فى إفادة هذه الدلالات والله أعلم.

فائدة: الفرق بين استعمال اللفظين" وما أدراك ، وما يدريك" فى القرآن الكريم .

قال صاحب التحرير والتنوير – رحمه الله–:واستعمال " ما أدراك " غير استعمال " ما يدريك" في قوله تعالى : " وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً" – الأحزاب : 63 – وقوله : " وما يدريك لعل الساعة قريب " في سورة الشورى (17) .

روي عن ابن عباس : كل شيء من القرآن من قوله : "ما أدراك " فقد أدرَاه وكل شيء من قوله : " وما يدريك " فقد طُوي عنه» . وقد روي هذا

أيضاً عن سفيان بن عيينة([1]) وعن يحيى بين سلاّم فإن صح هذا المروي فإن مرادهم أن مفعول " ما أدراك " محقق الوقوع لأن الاستفهام فيه للتهويل وأن مفعول " ما يدريك " غير محقق الوقوع([2]) لأن الاستفهام فيه للإنكار وهو في معنى نفي الدراية .

وقال الراغب : كل موضع ذُكر في القرآن " وما أدراك " فقد عقب ببيانه نحو " وما أدراك ماهيه نار حامية " – القارعة : 10، 11 – ، " وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر " –القدر : 2 3 – ، " ثم ما أدراك ما يوم الدين يومَ لا تملك نفس لنفس شيئاً " – الانفطار : 18 19 – ، " وما أدراك ما الحاقّة كذبت ثمود وعاد بالقارعة " – الحاقة: 3 4 – ، وكأنه يريد تفسير ما نقل عن ابن عباس وغيره .

ولم أرَ من اللغويين من وفَّى هذا التركيب حقه من البيان وبعضهم لم يذكره أصلاً .([3])

المسألة السادسة عشرة قوله تعالى : (ويل يومئذ للمكبين) يقال فى هذا اليوم لكل فاسق عن أمر ربه ، ومشرك معه فى العبادة غيره ، " وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ " أى : هلاك وحسرة فى هذا اليوم للمكذبين بالحق الذى جاء به الرسل ، وبلغوه إلى أقوامهم . وكررت هذه الآية فى هذه السورة عشر مرات وهذا التكرار حسن لأنه فى مقام الترغيب والترهيب لا سيما وقد

---

1 - قال سفيان : كل ما فى القرآن وما أدراك فقد أخبر به ، وكل شئ قال فيه وما يدريك لم يخبر به وهذا هو الغالب لأنه فى سورة الحاقة لم يدريه ما الحاقة بل قال كذبت ثمود وعاد بالقارعة الجامع لأحكام القرآن 257/18

2 -لعل مراده غير محقق العلم بوقته أما وقوعه فهو محقق يقينا.

3 التحرير والتنوير 114/29

تغايرت الآيات السابقة عليها قال الكرمانى –رحمه الله تعالى– "ويل يومئذ للمكذبين "مكرر عشر مرات لأن كل واحد منها ذكر عقب آية غير الأولى فلا يكون تكرار مستهجنا ولو لم يكرر كان متوعدا على بعض دون بعض ،وقيل إن من عادة العرب التكرار والإطناب كما فى عادتهم الاقتصار والإيجاز ولأن بسط الكلام فى الترغيب والترهيب أدعى إلى إدراك البغية من الإيجاز.([1])

وفى الخطيب :قال القرطبى : ويل عذاب وخزى لمن كذب بالله تعالى وبرسله وكتبه وبيوم الفصل وهو وعيد وكرره فى هذه السورة عند كل آية كأنه قسمة بينهم على قدر تكذيبهم فإن لكل مكذب بشئ عذاب سوى عذاب تكذيبه بشئ آخر ورب شئ كذب به هو أعظم جرما من تكذيبه بغيره لأنه أقبح فى تكذيبه وأعظم فى الرد على الله تعالى وإنما يقسم له من الويل على قدر ذلك وعلى قدر وفاقه وهو قوله تعالى "جزاء وفاقا" ([2])

ما ترشد إليه الآيات:

1– الله تعالى يقسم بما شاء من مخلوقاته وليس للخلق أن يقسموا بغير خالقهم.

2– تقريرعقيدة البعث والجزاء.

3– علامات القيامة وظاهرة الانقلاب الكونى وهى طمس النجوم وانفراج السماء ونسف الجبال .

---

1 - البرهان فى توجيه متشابه القرآن ص244وص245 تحقيق عبدالقادر أحمد عطا ط دار الفضيلة

2 - حاشية الجمل ج8 ص204

4- الوعيدالشديد بالويل الذى هو واد فى جهنم تستغيث جهنم من حره للمكذبين بما يجب الإيمان به من أركان الإيمان الستة والوعد والوعيد الإلهيين.

المبحث الثانى

دلائل القدرة الإلهية على البعث والوحدانية

قال تعالى :"أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (16) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (17) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (18) وَيْل وْمَئِذٍ لْمُكَذِّبِينَ (19) أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (20) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (21) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (22) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (23) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (24) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (25) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (26) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا(27) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (28) .

معانى المفردات وأصلها اللغوى: "نهلك" : هَلَكَ الشَّيْءُ هَلْكًا مِنْ بَابِ ضَرَبَ وَهَلَاكًا وَهُلُوكًا وَمَهْلِكًا بِفَتْحِ الْمِيمِ .. وَالِاسْمُ الْهُلْكُ مِثْلُ قُفْلٍ ، وَالْهَلَكَةُ مِثَالُ قَصَبَةٍ بِمَعْنَى الْهَلَاكِ ، وَيَتَعَدَّى بِالْهَمْزَةِ فَيُقَالُ أَهْلَكْتُهُ ،وَفِي لُغَةٍ لِبَنِي تَمِيمٍ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ فَيُقَالُ هَلَكْتُهُ وَاسْتَهْلَكْتُهُ مِثْلُ أَهْلَكْتُهُ .([1])

"مهين" هَانَ الشَّيْءُ هَوْنًا مِنْ بَابِ قَالَ لَانَ وَسَهُلَ فَهُوَ هَيِّنٌ ،وَيَجُوزُ التَّخْفِيفُ فَيُقَالُ هَيْنٌ لَيْنٌ ، وَأَكْثَرُ مَا جَاءَ الْمَدْحُ بِالتَّخْفِيفِ .... وَهَانَ يَهُونَ هُونًا بِالضَّمِّ وَهَوَانًا ذَلَّ وَحَقُرَ .وَفِي التَّنْزِيلِ " أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ "—النحل 59– قَالَ أَبُو زَيْدٍ وَالْكِلَابِيُّونَ يَقُولُونَ عَلَى هَوَانٍ وَلَمْ يَعْرِفُوا الْهُونَ وَفِيهِ مَهَانَةٌ أَيْ ذُلٌّ وَضَعْفٌ وَيَتَعَدَّى بِالْهَمْزَةِ فَيُقَالُ أَهَنْتُهُ([2])

1 - المصباح المنير ج2ص639

2 المصدر السابق ج2 ص643

"قدر" قَدَرْتُ الشَّيْءَ قَدْرًا مِنْ بَابَيْ ضَرَبَ وَقَتَلَ وَقَدَّرْتُهُ تَقْدِيرًا بِمَعْنًى وَالِاسْمُ الْقَدَرُ بِفَتْحَتَيْنِ ، وَقَوْلُهُ " فَاقْدُرُوا لَهُ" أَيْ قَدِّرُوا عَدَدَ الشَّهْرِ فَكَمِّلُوا شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ وَقِيلَ قَدِّرُوا مَنَازِلَ الْقَمَرِ وَمَجْرَاهُ فِيهَا .([1])

"كفاتا" الكاف والفاء والتاء أصل صحيح يدل على جمع وضم من ذلك قولهم : كفت الشئ إذا ضممته إليك قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم– "واكفتوا صبيانكم"([2]) يعنى ضموهم إليكم واحبسوهم فى البيوت.([3])

وفى القاموس: كفَتَهُ يَكْفِتُهُ صَرَفَهُ عن وجْهِهِ فانْكَفَتَ، والشيءَ إليه ضَمَّهُ، وقَبَضَهُ، ككَفَّتَهُ، والطائِرُ غيرُهُ كَفْتاً وكِفاتاً وكفيتاً وكَفَتَاناً أسْرَعَ في الطَّيَرَانِ والعَدْوِ... والكِفاتُ بالكسر المَوْضِعُ يُكْفَتُ فيه الشيءُ، أي يُضَمُّ ويُجْمَعُ. والأرضُ كِفاتٌ لنا. واكْتَفَتَ المالَ اسْتَوْعَبهُ أجْمَعَ.([4]) قال الأزهرى: قال الله جل وعز:(أَلَمْ نجعَلِ الأرضَ كِفاتاً، أحياءً وأَمواتاً) قال الفراء: يريد تَكُفِتُهمْ أحياء على ظهرها في دورهم ومنازلهم، وتَكفِتُهُمْ أمواتاً في بطنها أي تحفظهم وتحرزهم.([5])

---

1 المصباح ج2 ص492

2 - ذكره الألبانى فى صحيح وضعيف الجامع الصغير ج3ص217وقال صحيح

3 - معجم مقاييس اللغة لأبى الحسين أحمد بن فارس ج5 ص190ط دار الفكر تحقيق عبد السلام محمد هارون

4 - القاموس المحيط للفروز أبادى ص203ط مؤسسة الرسالة بيروت

5 تهذيب اللغة للأزهرى ج 10ص 85 ط دار إحياء التراث العربى سنة2001م

"رواسي" رَسَا الشَّيْءُ يَرْسُو رَسْوًا وَرُسُوًّا ثَبَتَ فَهُوَ رَاسٍ ، وَجِبَالٌ رَاسِيَةٌ وَرَاسِيَاتٌ وَرَوَاسٍ وَأَرْسَيْتُهُ بِالْأَلِفِ لِلتَّعْدِيَةِ، وَرَسَتْ أَقْدَامُهُمْ فِي الْحَرْبِ وَرَسَوْتُ بَيْنَ الْقَوْمِ أَصْلَحْتُ وَأَلْقَتْ السَّحَابَةُ مَرَاسِيَهَا دَامَتْ .([1])

"شامخات" شمخ قال الليث: شمخ فلانٌ بأنفه، وشمخ أنفه " لي " – إذا رفع رأسه عِزّاً وكِبْراً، وجبل شامخ طويل في السماء وقد شَمَخ شُمُوخاً، والجمع شوامخ.([2])

"فراتا"الْفُرَاتُ الْمَاءُ الْعَذْبُ يُقَالُ فَرُتَ الْمَاءُ فُرُوتَةً وِزَانُ سَهُلَ سُهُولَةً إذَا عَذُبَ وَلَا يُجْمَعُ إلَّا نَادِرًا عَلَى فِرْتَانٍ مِثْلُ غِرْبَانٍ .([3])

الإعراب: " أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ " الهمزة للاستفهام التقريرى و لم حرف جزم ونهلك فعل مضارع مجزوم بلم وفاعله مستتر تقديره نحن والأولين مفعول به،"ثم"حرف عطف للترتيب والتراخى و"نتبعهم" فعل مضارع مرفوع استئنافا أى ثم نحن نتبعهم و"الآخرين" مفعول به ثان "كذلك نفعل بالمجرمين" كذلك نعت لمصدر محذوف أى مثل ذلك الفعل الفظيع نفعل و"بالمجرمين" متعلق بنفعل.([4])

" أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ" الهمزة للاستفهام الإنكارى التقريرى و"لم" حرف نفى وقلب وجزم و"نخلقكم" فعل مضارع مجزوم بلم وفاعله مستتر تقديره نحن والكاف مفعول به ،و"من ماء" متعلقان بنخلقكم و"مهين" نعت لماء ومن ابتدائية

1 - المصباح ج 1ص237
2 - تهذيب اللغة ج7 ص47
3 المصباح ج2 ص465
4 إعراب القرآن وبيانه ج10 ص336

إشارة إلى أنه تعالى قادر على الابتداء والقادر على الابتداء قادر على الإعادة "فجعلناه فى قرار مكين" الفاء عاطفة وجعلناه فعل وفاعل ومفعول به و"فى قرار" موضع المفعول الثانى ومكين نعت لقرار أى مكان يحفظ فيه المنى من الأفات المفسدة كالهواء والقرار هو الرحم"إلى قدر معلوم" الجار والمجرور فى موضع الحال أى مؤخرا إلى قدر معلوم ومعلوم نعت لقدر "فقدرنا فنعم القادرون" الفاء عاطفة وقدرنا فعل وفاعل والفاء عاطفة ونعم فعل ماض جامد لإنشاء المدح والقادرون فاعل والمخصوص بالمدح محذوف أى نحن.([1])

" أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا " فى انتصاب "كفاتا" وجهان : أحدهما أنه مفعول ثان ل"تجعل"لأنها للتصيير.

والثانى :أنه منصوب على الحال من الأرض والمفعول الثانى أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا بمعنى ألم نصيرها أحياء بالنبات وأمواتا بغير نبات أى بعضها كذا وكذا وقيل كفات جمع كافت كصيام وقيام فى جمع صائم وقائم وقيل بل هو مصدر كالكتاب والحساب .

وقوله:" أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا" فيه أوجه:أحدها:أنه منصوب بكفات قاله مكى والزمخشرى وبدأ به بعد أن جعل "كفاتا" اسم ما يكفت كقولهم :الضمام والجماع وهذا يمنع أن يكون "كفاتا" ناصبا ل"أحياء" لأنه ليس من الأسماء العاملة وكذلك إذا جعلناه بمعنى الوعاء على قول أبى عبيدة فإنه لا يعمل أيضا.وقد نص النحاة على أن أسماء الأمكنة والأزمنة والآلات وإن كانت مشتقة جارية على الأفعال لا تعمل نحو مرمى ومِنجل وفى اسم المصدر

1 المصدر السابق ج10 ص339

خلاف مشهور ولكن إنما يتمشى نصبهما بكفات على قول أبى البقاء فإنه لم يجوز إلا أن يكون جمعا لاسم فاعل أو مصدرا وكلاهما من الأسماء العاملة.

الوجه الثانى : أن ينتصب بفعل مقدر يدل عليه"كفات" أى يكفتهم أحياء على ظهرها وأمواتا فى بطنها وبه ثنى الزمخشرى.

الثالث:أن ينتصبا على الحال من الأرض على حذف مضاف أى ذوات أحياء وأموات.

الرابع :أن ينتصبا على الحال من محذوف أى تكفتكم أحياءً وأموتا لأنه قد علم أنها كفات للإنس قاله الزمخشرى وإليه نحا مكى إلا أنه قدره غائبا أى تجمعهم الأرض فى هاتين الحالتين.

الخامس: أنه ينتصبا مفعولا ثانيا لنجعل وكفاتا حال كما تقدم تقريره.([1])

الصور البلاغية:

1- الاستفهام التقريرى فى قوله" ألم نهلك الأولين" وقوله " ألم نخلقكم من ماء مهين"

2- الجناس الناقص غير التام بين قوله "مهين" و"مكين"

3- التنكير فى قوله تعالى " أحياءً وأمواتا" مع أنها تكفت جميع الأحياء والأموات للتفخيم كأنه قيل أحياءً لا يعدون وأمواتا لا يحصون على أن أحياء الإنس وأمواتهم ليسوا بجميع الأحياء والأموات.

4- "أحياءً وأمواتا بينهما طباق.

---

1 - انظرالدر المصون ج10 ص637 والكشاف ج4 ص680وإملاء ما من به الرحمن ج2 ص278ومشكل إعراب القرآن ج2ص792وما بعدها

5- التنكير فى قوله: "رواسي شامخات وماءً فراتا" لإفادة التبعيض لأن فى السماء جبالا قال تعالى:" وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ – النور آية43- وفيها ماء فرات كثير بل هى منبعه ومصبه.([1])

القراءات الواردة فى الآيات:

1- قوله تعالى "نهلك" قرأ الجمهور : " نهلك الأولين " بضم النون ، وقتادة : بفتحها . قال الزمخشري : من هلكه بمعنى أهلكه .([2])

قال العجاج : ومهمه هالك من تعرجا ... انتهى .([3])

2- قوله تعالى "نتبعهم" قرأ الجمهور : " نتبعهم " بضم العين على الاستئناف ، وهو وعد لأهل مكة . ويقوي الاستئناف قراءة عبد الله : ثم سنتبعهم ، بسين الاستقبال؛ والأعرج والعباس عن أبي عمرو : بإسكانها؛ فاحتمل أن يكون معطوفاً على " نهلك " ، واحتمل أن يكون سكن تخفيفاً ([4])

قرأ أهل المدينة ، والكسائي «فَقَدَّرْنَا» بالتشديد . وقرأ الباقون : بالتخفيف . وهل بينهما فرق؟

---

1 - انظر التفسير المنير ج29 ص 319 وإعراب القرآن وبيانه ج 10 ص340 والدر المصون ج10 ص638

2- البحر المحيط ج 8 ص397 ومعجم القراءات ج10 ص241

3 - مجمع الأمثال لأبى الفضل أحمد بن محمد الميدانى ج2 ص408ط دار المعرفة تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد وأدب الكاتب لابن قتيبة س337ط مكتبة السعادة مصر سنة 1963م الرابعة تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد

4 - البحر المحيط ج 8ص397 والمحرر الوجيز ج 5ص418ط دار الكتب العلمية الطبعة الأولى1993م ومعجم القراءت ج10 ص241

فيه قولان :

أحدهما : أنهما لغتنان بمعنى واحد . قال الفراء : تقول العرب : قَدَر عليه، وقَدَّر عليه . وقد احتج من قرأ بالتخفيف فقال : لو كانت مشددة لقال : فنعم المقدِّرون ، فأجاب الفراء فقال : قد تجمع العرب بين اللغتين كقوله تعالى : " فمهل الكافرين أمهلهم رويدا " – الطارق : 17 –

قال الشاعر :

وَأَنْكَرَتْني وَمَا كانَ الَّذي نَكِرَتْ ... مِنَ الحَوادِثِ إلا الشَّيْبَ والصَّلَعَا [1]

يقول : ما أنكرت إلا ما يكون في الناس .

والثاني : أن المخفَّفة من القُدْرَة والملك ، والمشدَّدة من التقدير والقضاء .[2]

المعنى الإجمالى:

تستعرض الآيات دلائل القدرة الإلهية على إثبات البعث بالبراهين الساطعة والأدلة المادية التى لا يستطيعون إنكارها المتمثلة فى إهلاك الأمم السابقة مثل قوم نوح وعاد وثمود، وهؤلاء المكذبون على علم بما حدث للأمم الخالية فتوعدهم بإهلاكهم كهولاء إذا استمروا على إجرامهم وتكذيبهم ، ثم أقام عليهم الحجة فى أنفسهم وفى الآفاق، فامتن عليهم بأن جعل أصل خلقتهم ونشأتهم من ماء مهين مهراق مهدر ؛لكنه جعله فى حرز ومستقر

---

1 - ديوان الأعشى ص114

2 - الجامع لأحكام القرآن ج 19ص 160وزاد المسير ج 8 ص448 ومعجم القراءات ج10 ص244وص245والنشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ج2 ص397 ط دار الكتب العلمية وحجة القراءات ص743

أمين إلى قدر وميقات معلوم ،وجعل لهم رحما أكبر أعده الله لعباده يستقرون عليها ويتقلبون على ظهرها ،فهى مهاد لهم يأكلون من خيرها فى حياتهم ، ثم يقبرون فى بطنها فتوارى أجسادهم التى بليت وأصبحت جيفة تشمئز العين من النظر إليها وتتأفف الأنف من رائحتها، فتستر الأرض عيوبنا وتكفتنا أحياءً وأمواتا، ومن تمام نعمته وكمال قدرته أن جعل لهذه الأرض ثوابت مرتفعة بحيث لا تميد بهم فلا يستطيعون الاستقرار عليها بل جعل لها أوتادا تمنعها من الاضطراب والحركة فهى قرار لهم ومهاد ،ولم يتركهم سدى بل تكفل لهم بما يحفظ عليهم حياتهم وهو الماء العذب الفرات ، فكان لزاما عليهم أن يؤمنوا بالمنعم ويشكروا النعمة ولا يجحدوها ولكن كذبوا وجحدوا فاستحقوا الويل والعذاب.

الشرح والتحليل

قوله تعالى : :" أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآَخِرِينَ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ " فيه مسألتان:

المسألة الأولى :مناسبة الآيات لما قبلها: بعد القسم بوقوع يوم الفصل وإنذارهم بأهوال يوم القيامة أعقبه بتخويفهم وتحذيرهم من عاقبة كفرهم بالإهلاك كإهلاك الأمم السابقة ، ثم توعدهم بإنكار إحسانه إليهم وكفران نعمه عليهم مبينا دلائل قدرته عز وجل المتمثلة فى خلق الإنسان من ماء مهين ، وجعل الأرض كفاتا ومستقرا لهم ، وتثبيتها بالجبال الشامخات وتزويدها بينابيع المياه العزبة ، وذلك كله يستدعى شكر نعم الله فى الأنفس والأفاق.

المسألة الثانية : الاستفهام فى قوله تعالى"ألم نهلك الأولين" تقريرى المقصود منه استخراج اعتراف وإقرار مشركى قريش بصفة خاصة

والمشركين من بعدهم بصفة عامة على صحة البعث لأن من قدر على الإهلاك والإبادة فهوعلى الإحياء والإعادة أقدر.

قال العلامة ابن عاشور : استئناف بخطاب موجه إلى المشركين الموجودين الذين أنكروا البعث معترض بين أجزاء الكلام المخاطبِ به أهل الشرك في المحشر . ويتضمن استدلالاً على المشركين الذين في الدنيا ، بأن الله انتقم من الذين كفروا بيوم البعث من الأمم سابقهم ولاحِقهم ليحذروا أن يحلّ بهم ما حلّ بأولئك الأولين والآخِرين . والاستفهام للتقرير استدلالاً على إمكان البعث بطريقة قياس التمثيل .([1])

يقول تعالى ذكره: ألم نهلك الأمم الماضين الذين كذّبوا رسلي، وجحدوا آياتي من قوم نوح وعاد وثمود، ثم نتبعهم الآخرين بعدهم، ممن سلك سبيلهم في الكفر بي وبرسولي، كقوم إبراهيم وقوم لوط، وأصحاب مدين، فنهلكهم كما أهلكنا الأوّلين قبلهم (كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ) يقول كما أهلكنا هؤلاء بكفرهم بي وتكذيبهم

برسلي، كذلك سنتي في أمثالهم من الأمم الكافرة، فنهلك المجرمين بإجرامهم إذا طغوا وبغوا(وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) بأخبار الله التي ذكرناها في هذه الآية، الجاحدين قُدرته على ما يشاء.([2])

وفي الآية سؤالان الأول : ما المراد من الأولين والآخرين؟ الجواب : فيه قولان : الأول : أنه أهلك الأولين من قوم نوح وعاد وثمود ثم أتبعهم الآخرين قوم لوط وشعيب وموسى كذلك نفعل بالمجرمين وهم كفار قريش ،

1 - التحرير والتنوير ج 29ص428

2 - جامع البيان ج24 ص131

وهذا القول ضعيف لأن قوله : " نُتْبِعُهُمُ الأخرين " بلفظ المضارع فهو يتناول الحال والاستقبال ولا يتناول الماضي ألبتة.

القول الثاني : أن المراد بالأولين جميع الكفار الذين كانوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم ، وقوله : " ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الأخرين " على الاستئناف على معنى سنفعل ذلك ونتبع الأول الآخر ، ويدل على الاستئناف قراءة عبدالله " سنتبعهم " ، فإن قيل : قرأ الأعرج ثم نتبعهم بالجزم وذلك يدل على الاشتراك في ألم ، وحينئذ يكون المراد به الماضي لا المستقبل ، قلنا : القراءة الثابتة بالتواتر نتبعهم بحركة العين ، وذلك يقتضي المستقبل ، فلو اقتضت القراءة بالجزم أن يكون المراد هو الماضي لوقع التنافي بين القراءتين ، وإنه غير جائز . فعلمنا أن تسكين العين ليس للجزم للتخفيف كما روي في بيت امرىء القيس :

واليوم أشرب غير مستحقب ... ([1])

ثم إنه تعالى لما بين أنه يفعل بهؤلاء المتأخرين مثل ما يفعل بأولئك المتقدمين قال : " كَذَلِكَ نَفْعَلُ بالمجرمين" أي هذا الإهلاك إنما نفعله بهم لكونهم مجرمين ، فلا جرم في جميع المجرمين ، لأن عموم العلة يقتضي عموم الحكم .

ثم قال تعالى : " وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لّلْمُكَذّبِينَ" أي هؤلاء وإن أهلكوا وعذبوا في الدنيا ، فالمصيبة العظمى والطامة الكبرى معدة لهم يوم القيامة .

السؤال الثاني : المراد من الإهلاك في قوله : " أَلَمْ نُهْلِكِ الأولين " هو مطلق الإماتة أو الإماتة بالعذاب؟ فإن كان ذلك هو الأول لم يكن تخويفاً

1 - ديوان امرئ القيس ص45

للكفار ، لأن ذلك أمر حاصل للمؤمن والكافر ، فلا يصلح تحذيراً للكافر، وإن كان المراد هو الثاني وهو الإماتة بالعذاب ، فقوله : " ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الأخرين كَذَلِكَ نَفْعَلُ بالمجرمين " يقتضي أن يكون الله قد فعل بكفار قريش مثل ذلك ، ومن المعلوم أنه لم يوجد ذلك ، وأيضاً فلأنه تعالى قال : "وَمَا كَانَ الله لِيُعَذّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ" – الأنفال : 33 – الجواب : لم لا يجوز أن يكون المراد منه الإماتة بالتعذيب ، وقد وقع ذلك في حق قريش وهو يوم بدر؟ سلمنا ذلك ، فلم لا يجوز أن يكون المراد من الإهلاك معنى ثالثاً مغايراً للأمرين اللذين ذكروهما وهو الإماتة المستعقبة للذم واللعن؟ فكأنه قيل : إن أولئك المتقدمين لحرصهم على الدنيا عاندوا الأنبياء وخاصموهم ، ثم ماتوا فقد فاتتهم الدنيا وبقي اللعن عليهم في الدنيا والعقوبة الأخروية دائماً سرمداً ، فهكذا يكون حال هؤلاء الكفار الموجودين ومعلوم أن مثل هذا الكلام من أعظم وجوه الزجر .([1])

قوله تعالى :أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ " فيه مسألتان:

المسألة الأولى : مناسبة الآيات لماقبلها: لما ذكر الإهلاك على ذلك الوجه الدال على القدرة التامة على البعث وعلى ما يوعد به بعد البعث ، أتبعه الدلالة بابتداء الخلق وهو أدل فقال مقرراً ومنكراً على من يخالف علمه بذلك عمله : " ألم نخلقكم ...الآيات([2])

1 - التفسير الكبير ج30 ص238

2 - نظم الدرر ج 21ص173

قال الإمام الرازى: وقدم هذه الآية على التى بعدها ، لأن النعم التي في الأنفس كالأصل للنعم التي في الآفاق ، فإنه لولا الحياة والسمع والبصر والأعضاء السليمة لما كان الانتفاع بشيء من المخلوق ممكناً .([1])

المسألة الثانية :قال صاحب التحرير والتنوير :والماء : هو ماء الرجُل . والمَهين : الضعيف فعيل من مَهُنَ ، إذا ضعُف ، وميمه أصلية وليس هو من مادة هَان . وهذا الوصف كناية رمزية عن عظيم قدرة الله تعالى إذ خلق من هذا الماء الضعيف إنساناً شديد القوة عقلاً وجسماً . والقرار : محل القرور والمكث . و " مَكين " : صفة لقرار ، أي مكان متمكن في ذلك فهو فعيل من مكُن مَكانة ، إذا ثبت ورسخ . ووُصف القرارُ بالمكين على طريقة المجاز العقلي ، أي مكين الحالُّ والمستقرّ فيه . فالتقدير : مكين فيه . والمراد بالقرار المكين : الرحم . والقدَر : بفتح الدال المقدار المعيّن المضبوط ، والمراد مقدار من الزمان وهو مدة الحمل .([2])

قوله تعالى: " أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا " فيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: الكفات اسم للوعاء الذى يكفت فيه أى يجمع قاله أبوعبيدة يقال :كفته يكفته أى جمعه وضمه ، وفى الحديث "اكفتوا صبيانكم" وقال الصمصامة بن الرماح:

فأنت اليومَ فوق الأرض حيٌّ ... وأنت غداً تَضُمُّكَ من كِفات([3])

1 - التفسير الكبير ج30 ص240 بتصرف يسير فى العبارة
2 - التحرير والتنوير ج 29ص430وص431
3 - لم أعثر عليه فى كتب الأدب واللغة

وقيل الكفات اسم لما يكفت كالضمام والجماع يقال هذا الباب جماع الأبواب.([1])

واختلفت أقوال المفسرين فى معنى "كفاتا" إلى أربعة أقوال:

أحدها : يعني كِنّاً ، قاله ابن عباس .

الثاني : غطاء ، قاله مجاهد .

الثالث : مجمعاً ، قاله المفضل .

الرابع : وعاء([2]) وهذه الأقوال متقاربة المعنى فلا تعارض بينها.

المسألة الثانية :فى كيفية كفت الأرض للمخلوقات أربعة وجوه ذكرها الإمام الرازى فقال: أحدها : أنها تكفت أحياء على ظهرها وأمواتاً في بطنها ، والمعنى أن الأحياء يسكنون في منازلهم والأموات يدفنون في قبورهم ، ولهذا كانوا يسمون الأرض إما لأنها في ضمها للناس كالأم التي تضم ولدها وتكفله ، ولما كانوا يضمون إليها جعلت كأنها تضمهم .

وثانيها : أنها كفات الأحياء بمعنى أنها تكفت ما ينفصل الأحياء من الأمور المستقذرة ، فأما أنها تكفت (الأحياء) حال كونهم على ظهرها فلا.

وثالثها : أنها كفات الأحياء بمعنى أنها جامعة لما يحتاج الإنسان إليه في حاجاته من مأكل ومشرب ، لأن كل ذلك يخرج من الأرض والأبنية الجامعة للمصالح الدافعة للمضار مبنية منها

---

1 - الدر المصون ج10ص 636

2 - النكت والعيون ج 6ص179

ورابعها : أن قوله : " أَحْيَاء وأمواتا" معناه راجع إلى الأرض ، والحي ما أنبت والميت مالم ينبت.([1])

وزاد الشيخ محمد الغزالى وجها آخر فقال: والآيات تشير إلى الجاذبية الأرضية التى تربط الأحياء والأموات بالأرض وتلصق كل شئ بها لا تسمح له بفكاك :إن غزاة الجو وهم فى الطريق إلى القمر نظروا إلى الأرض وهم على بعد مئات الأميال منها ثم تساءلوا من يمسكها فى مكانها ؟ وأتساءل معهم من يمسك الماء على سطحها وهو أربعة أخماس الكرة؟ لماذا لم ينسكب فى الجو؟ لأن الله جعل الأرض كفاتا تجذب كل قطرة إليها أى لطافة سارية فى طباق البر والبحر تقوم بهذا الصنيع الباهر.([2])

المسألة الثالثة الأحكام الفقهية المستفادة من الأية:

1- وجوب دفن الميت وما ينفصل عنه فى حياته. قال القرطبى:" وهذا يدل على وجوب مواراة الميت ودفنه، ودفن شعره وسائر ما يزيله عنه.وقوله عليه السلام:"قصوا أظافركم وادفنوا قلاماتكم" ([3])

2- إقامة الحد على النباش بقطع يده لكون الأرض حرزا للميت وذهب إلى ذلك القفال من الشافعية وابن القاسم من المالكية:

---

1 - التفسير الكبير ج 30 ص240

2- نحو تفسير موضوعى ص495

3 - الجامع لأحكام القرآن ج19 ص 161الحديث ذكره الحافظ العراقى فى تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد ج2 ص79 ط دار الكتب العلمية الطبعة الأولى سنة2000م تحقيق عبد القادر محمد على قال الحافظ العراقى رواه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من رواية عمر بن بلال قال سمعت عبد الله بن بسر يقول قال رسول الله قصوا أظفاركم وادفنوا قلائمكم ونقوا براجمكم الحديث وعمر بن بلال ليس بمعروف قاله ابن عدي

نقل القفال أن ربيعة قال : دلت الآية على أن الأرض كفات الميت فتكون حرزاً له ، والسارق من الحرز يجب عليه القطع .([1])

واحتج ابن القاسم من أصحاب مالك بهذه الآية لكون القبر حرزاً فأوجب القطع على من سرق من القبر كفناً أو ما يبلغ ربع دينار ، وقال مالك : القبر حِوَز للميت كما أن البيت حِوَز الحي .([2])

قوله تعالى: "وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا"فيه مسألتان:

المسألة الأولى: " وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ" يقول تعالى ذكره: وجعلنا في الأرض جبالا ثابتات فيها، باذخات شاهقات.([3])

قال السمين : والشامخات جمع شامخ وهو المرتفع جدا ومنه شمخ بأنفه إذا تكبر جعل كناية عن ذلك كثنى العِطف وصعر الخد وإن لم يحصل شئ من ذلك.([4])

المسألة الثانية: " وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا " أى وأسقيناكم ماء عذبا وعُطف " وأسقيناكم ماء فراتاً " لمناسبة ذكر الجبال لأنها تنحدر منها المياه تجري في أسافلها وهي الأدوية وتقر في قرارات وحياض وبُحيرات .([5])

ما ترشد إليه الآيات:

---

1 - التفسير الكبير ج 30ص241
2 - التحرير والتنوير ج29 ص433وص434
3 - جامع البيان ج 24ص135
4 - الدر المصون ج10 ص638
5 - التحرير والتنوير ج29 ص434

1- الوعيد الشديد للمجرمين المكذبين بإهلاكهم كما فعل بأمثالهم من الأمم الخالية.

2- إقامة الأدلة المادية فى الأنفس والأفاق على القدرة الإلهية على البعث بما لا يسع أحد إنكاره.

3- امتنان الله على عباده وعنايته بهم فجعل لهم قرارا مكينا وهم أمشاج فى رحم أمهاتهم وقرارا أكبر يتقلبون على ظهره فى حياتهم ويقبرون فى بطنه بعد مماتهم .

4- العناية الإلهية بالمخلوقات بتحقيق ما به حياتهم من ثبات الأرض واستقرارها بالجبال الرواسى وجعلها مصدرا لينابيع المياه العذبة التى هى سر الحياة قال تعالى "وجعلنا من الماء كل شئ حى أفلا يؤمنون"

المبحث الثالث

وصف عذاب المكذبين بيوم الفصل

ويتكون من مطلبين :

الأول: وصف ما يعتريهم من عذاب جسمانى.

الثانى: وصف ما يعتريهم من عذاب نفسي وأدبى.

المطلب الأول

وصف ما يعتريهم من عذاب جسمانى

قال تعالى :" انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (29) انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (30) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (31) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (32) كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ (33) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (34)

معانى المفردات وأصلها اللغوى : "ظل": الظل ضد الضح وهو أعم من الفئ فإنه يقال ظل الليل وظل الجنة، ويقال لكل موضع لم تصل إليه الشمس ظل ولا يقال الفئ إلا لما زال عنه الشمس، ويعبر بالظل عن العزة والمنعة وعن الرفاهة، قال (إن المتقين في ظلال) أي في عزة ومناع، قال "أكلها دائم وظلها"– الرعد35 – "هم وأزواجهم في ظلال"–يس56–) يقال

ظللنى الشجر وأظلني، قال "وظللنا عليكم الغمام"-البقرة57- وأظلني فلان حرسني وجعلني في ظله وعزه ومناعته.([1])

وفى اللسان :وظِلُّ كلِّ شيء شَخْصُه لمكان سواده وأَظَلَّني الشيءُ غَشِيَني والاسم منه الظِّلُّ وبه فسر ثعلب قوله تعالى إِلى ظِلٍّ ذي ثَلاث شُعَب قال معناه أَن النار غَشِيَتْهم ليس كظِلِّ الدنيا...([2])

"ظليل" ومكان ظَلِيلٌ ذو ظِلٍّ وقيل الدائم الظِّلِّ قد دامت ظِلالَتُه وقولهم ظِلٌّ ظَلِيل يكون من هذا ، وقد يكون على المبالغة كقولهم شِعْر شاعر وفي التنزيل العزيز و"نُدْخِلهم ظِلاًّ ظَلِيلاً"- النساء57- ([3])

شعب: الشَّعَبُ : تَبَاعُدُ مَا بَيْنَ القَرْنَيْن وقَدْ شَعِبَ كفَرِح شَعَباً وهُوَ أَشْعَبُ . وظَبْيٌ أَشْعَبُ بَيِّنُ الشَّعْبِ إِذا تَفَرَّقَ قَرْنَاه فَتَبَايَنَا بَيْنُونَةً شَدِيدَةً وكَانَ مَا بَيْنَ قَرْنَيْه بَعِيداً جِدّاً والجَمْعُ شُعْبٌ ... وقوله تعالى: "إِلى ظِلٍّ ذي ثَلاثِ شُعَبٍ" قال ثعلب يقال إِنَّ النارَ يومَ القيامة تَتَفَرَّقُ إِلى ثلاثِ فِرَقٍ فكُلَّما ذهبُوا أَن يخرُجوا إِلى موضعٍ رَدَّتْهُم ومعنى الظِّلِّ ههنا أَن النارَ أَظَلَّتْه لأَنَّه ليس هناك ظِلّ ([4])

اللهب: اللَّهْبُ بفتح فسكون واللَّهَبُ محرّكةً واللَّهِيبُ كَأَمِيرٍ واللُّهَابُ بالضَّمّ واللَّهَبَانُ مُحَرَّكةً : اشتِعالُ النَّارِ : إِذَا خَلَصَ من الدُّخَانِ .([5])قال الراغب:

---

1 - المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ص314ط دار المعرفة لبنان تحقيق محمد سيد كيلانى

2 - لسان العرب ج11 ص415

3 - لسان العرب ج11 ص415

4 - تاج العروس للزبيدى ج 3ص137ط دار الهداية لسان العرب ج1ص 497

5 - تاج العروس ج 4ص227

اللهب اضطرام النار، قال (ولا يغنى من اللهب – سيصلى نارا ذات لهب) واللهيب ما يبدو من اشتعال النار، ويقال للدخان وللغبار لهب([1])

شرر: الشررُ : ما تطايرَ من النار وفي التنزيل " إنها ترمي بشرر كالقصرِ " واحدته شررةٌ . وهو الشرارُ واحدته شرارةُ قال الشاعر :

أو كشرارِ العلاةِ يضربها القي ... نُ على كُلِّ وجهه تثبُ .([2])

قال الراغب: والشر بالضم خص بالمكروه، وشرار النار ما تطاير منها وسميت بذلك لاعتقاد الشر فيه، قال: (ترمى بشرر كالقصر).([3])

قصر: قال الراغب :وقصرت كذا ضممت بعضه إلى بعض ومنه سمي القصر وجمعه قصور قال " وقصر مشيد" –الحج45– "ويجعل لك قصورا"–الفرقان10 – "إنها ترمي بشرر كالقصر" وقيل القصر أصول الشجر الواحدة قصرة مثل جمرة وجمر وتشبيهها بالقصر كتشبيه ذلك في قوله) كأنه جمالة صفر ([4])

الإعراب: قوله تعالى :"انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون" الجملة مقول قول محذوف مستأنف ،وانطلقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وإلى وما متعلقات بانطلقوا وجملة كنتم لا محل لها من الإعراب لأنها صلة ما ،وكان واسمها وبه متعلقان بتكذبون وجملة تكذبون خبر كنتم والعائد الضمير فى به

---

1 - المفردات ص454

2- لسان العرب ج4 ص 400والبيت ذكره الخليل فى العين ونسبه للجعدى ج6 ص217ط دار ومكتبة الهلال تحقيق د/مهدى المخزومى ود/ابراهيم السمرائى

3 - المفردات ص257

4 - السابق ص405

"انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب" انطلقوا توكيد لفظى لانطلقوا الأولى وإلى ظل متعلقان بانطلقوا وذى ثلاث شعب نعت لظل

"لا ظليل ولا يغنى من اللهب" لا نافية وظليل نعت منفى لأن الظل لا يكون إلا ظليلا فنفيه عنه للدلالة على أنه جعله ظلا تهكما به وسخرية منهم ، ولا يغنى من اللهب عطف على المنفى ، ويغنى فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر تقديره هو يعود على الظل ومن اللهب متعلقان بيغنى والجملة فى محل جر أى غير مغن عنهم من حر اللهب شيئا

"إنها ترمى بشرر كالقصر" الجملة بمثابة التعليل لعدم غناء الظل وإن واسمها والضمير يعود إلى جهنم لأن الحديث عنها ، وجملة ترمى خبر إن وبشرر متعلقان بترمى .. وكالقصر نعت لشرر

"كأنه جمالة صفر" الجملة نعت ثانى لشرر وكأن واسمها وجمالة خبرها وصفر نعت لجمالة.([1])

الصور البلاغية:

1- قوله تعالى" انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب.." أسلوب تهكم سمى العذاب ظلا تهكما وسخرية

وفيه فن طريف من فنون البلاغة أطلق عليه الأقدمون اسم العنوان ..وأنه عبارة عن أن يأخذ المتكلم فى غرض له من وصف أو فخر أومدح أوعتاب أو هجاء أو غير ذلك من الفون ثم يأتى بقصد تكميله بأمثلة تكون عنوانا لأخبار متقدمة وقصص سالفة وذلك أن تذكر فى الكلام ألفاظا تكون بمثابة مفاتيح للعلوم ، وهذه الآية التى نحن بصددها من أصدق الدلائل على ذلك

1 -انظر إعراب القرآن وبيانه ج10 ص340 بتصرف

فإن قوله "ظل ذى ثلاث شعب" عنوان لعلم الهندسة،فإن الشكل المثلث هو أول الأشكال وهو أصلها ومنه تتركب بقية الأشكال وهو شكل إذا نصب فى الشمس كيفما نصب على أى ضلع كان لا يكون له ظل لتحديد رؤوس زواياه فأمر الله سبحانه هؤلاء الجهنميين بالانطلاق إلى ظل هذا الشكل تهكما منهم وسخرية.([1])

2- "ترمى بشرر كالقصر" تشبيه مرسل مجمل لحذف وجه الشبه فقد شبه الشرر بالقصر فى عظمه وارتفاعه.

3- "كأنه جمالة صفر" تشبيه مرسل مفصل شبه الشرر بالجمالة الصفر من حيث اللون والهيئة والكثرة والتتابع وسرعة الحركة.([2])

القراءات الواردة فى الآيات:

1- قرأ العامة "انطلقوا" الثانى كالأول بصيغة الأمر على التأكيد ورويس عن يعقوب "انطلقوا" بفتح اللام فعلا ماضيا على الخبر أى : لما أمروا امتثلوا ذلك، وهذا موضع الفاء فكان ينبغى أن يكون التركيب فانطلقوا نحو قولك : قلت اذهب فذهب وعدم الفاء هنا ليس بالواضح."لا ظليل" صفة لظل و"لا" تتوسط بين الصفة والموصوف لإفادة النفى وجئ بالصفة الأولى اسما وبالثانية فعلا دلالة على نفى ثبوت هذه الصفة واستقرارها للظل ونفى التجدد والحدوث للإغناء عن اللهب.([3])

2- قرأ العامة "بشرر"بفتح الشين وعدم الألف بين الراءين .وورش يرقق الراء الأولى لكسر التى بعدها، وقرأ ابن عباس وابن مقسم بكسر الشين وألف

---

1 - إعراب القرآن وبيانه ج10 ص343 بتصرف يسير

2- انظر المصدر السابق نفس الصفحة والتفسير المنير ج29 ص325 بتصرف

3 - الدر المصون ج10 ص638 ومعجم القراءات ج10 ص246و النشر ج2ص397

بين الراءين "بشرار" وعيسى كذلك إلا أنه فتح الشين ، فقراءة ابن عباس يجوز أن تكون جمعا لشرَرَة و"فَعَلة" تجمع على فعال نحو رقبة رقاب ورحبة ورحاب،وأن تكون جمعا لشر لايراد به أفعل التفضيل يقال رجل شر ورجال شرار ورجل خير ورجال خيار ويؤنثان فيقال امرأة شرة وامرأة خيرة. فإن أريد بهما التفضيل امتنع ذلك فيهما...وأما قراءة عيسى فهى جمع شرارة بالألف وهى لغة تميم والشررة والشرارة ما تطاير من النار متفرقا.([1])

3- قوله"كالقصر" العامة على فتح القاف وسكون الصاد وهو القصر المعروف شبهت به فى كبره وعظمه، وابن عباس وتلميذاه ابن جبير وابن جبر والحسن بفتح القاف والصاد وهى جمع قَصَرة بالفتح والقصرة أعناق الإبل والنخل وأصول الشجر.

وقرأ ابن جبير والحسن أيضا بكسر القاف وفتح الصاد جمع "قَصَرة" يعنى بفتح القاف قال الزمخشرى كحاجة وحِوَج وقال الشيخ :كحلقة من الحديد و"حِلَق" وقرئ "كالقَصِر" بفتح القاف وكسر الصاد ولم أر لها توجيها....وقرأعبد الله بضمهما وفيها وجهان:

أحدهما : أنه جمع قصر كَرَهن ورُهُن قاله الزمخشرى.

والثانى : أنه مقصور من قصور كقوله : فيها عياييل أسود ونُمُر...يريد ونمور فقصر وكقوله"النُجمُ"يريد النجوم وتخريج الزمخشرى أولى لأن محل الثانى إما الضرورة وإما النذور."([2])

4- "جمالة" قرأ الأخوان وحفص "جمالة" والباقون "جمالات" فالجمالة فيها وجهان:

---

1 - الدر المصون ج10 ص638وص639ومعجم القراءات ج10ص246والنشر ج2 ص398

2 - الدر المصون ج10 ص639 وص640ومعجم القراءات ج10 ص247

أحدهما :أنها جمع صريح والتاء لتأنيث الجمع .يقال جمل وجمال وجمالة نحو ذكر وذكار وذكارة وحجر وحجارة.

والثانى : أنه اسم جمع كالذكارة والحجارة قاله أبوالبقاء([1]) والأول قول النحاة.

وأما جمالات فيجوز أن يكون جمعا لجمالة هذه وأن يكون جمعا لجمال فيكون جمع الجمع ويجوز أن يكون جمعا لجمل المفرد كقولهم "رجالات قريش"كذا قالوه . وفيه نظر لأنهم نصوا على أن الأسماء الجامدة غير العاقلة لا تجمع بالألف والتاء إلا إذا لم تكسر فإن كسرت لم تجمع... وقرأ ابن عباس والحسن وابن جبير وقتادة وأبو رجاء بخلاف عنهم كذلك إلا أنهم ضموا الجيم وهى حبال السفن وقيل قلوس الجسور الواحدة"جملة" لاشتمالها على طاقات الحبال وفيها وجهان:أحدهما:جمع "جُملة" وهوقول أبى حيان([2])

والثانى جمع جمالة قاله الزمخشرى.([3])

وقرأ ابن عباس والسلمى وأبو حيوة "جمالة"بضم الجيم وهى دالة لما قاله الزمخشرى.([4])

5- "صفر" قرأ العامة على سكون الفاء جمع صفراء والحسن بضمها كأنه إتباع.([5])

---

1 - إملاء ما من به الرحمن ج2 ص278

2- انظرالبحر المحيط ج8 ص398

3 - انظر الكشاف ج4 ص681

4 - الدرالمصون ج10 ص641ومعجم القراءات ج10 ص249والنشرج2ص 397

5 الدر المصون ج10 ص642ومعجم القراءات ج10 ص251

المعنى الإجمالى: تصور هذه الآيات مشهدا من مشاهد القيامة ونوعا من أنواع التخويف لهؤلاء المجرمين المكذبين وهو بيان كيفية عذابهم فى الآخرة ، فيقال لهم "انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون"

فيرون النار مشاهدة وعيانا وحينئذ تنخلع القلوب وتذرف العيون وتندم وتتحسر على ما قدمت ، ولكن لا يمهلون فيقال لهم بأسلوب التهكم والسخرية "انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب" ولكن هذا نوع خاص لا كما يعرفون من الظل المعهود الذى يستظلون به من حر الشمس ، وهذا الظل ليس فيه ظليل ولا غناء من لهب جهنم ، ثم شبهت ما يتطاير نار جهنم من شرر فى عظمها وارتفاعها بالقصر ، فإذا كان هذا حجم ما يتطاير منها فأى وصف لقعرها وجسمها لا يدرك العقل كنهها ولا يستطيع اللسان وصفها وتنخلع القلوب من ذكرها اللهم سلم وقنا عذابها وحرها إن عذابها كان غراما.

الشرح والتحليل

مناسبة الآيات لما قبلها: بعد أن هدد الله تعالى الكفار بعذاب يوم الفصل أبان كيفية هذا العذاب بزجهم فى النيران ،وفضحهم على رؤس الأشهاد حيث لاحجة لهم ولا عذر فى قبائحهم ، وتعذيبهم بالتقريع والتخجيل وتلك أنواع ثلاثة أخرى من أنواع تخويف الكفار وتهديدهم.

اعلم أن هذا هو النوع الخامس من وجوه تخويف الكفار وهو بيان كيفية عذابهم في الآخرة وأول مراحل هذا العذاب هو التهكم والسخرية بهم باستظلالهم بظل لا ظليل ولا غناء فيه من اللهب قال تعالى : "انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ"

قال الطبري –رحمه الله– : يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذّبين بهذه النَّعم و الحجج التي احتجّ بها عليهم يوم القيامة:" انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ " في الدنيا" تُكَذِّبُونَ " من عذاب الله لأهل الكفر به "انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ" يعني تعالى ذكره: إلى ظلّ دخان ذي ثلاث شعب" لا ظَلِيلٍ " ، وذلك أنه يرتفع من وقودها الدخان فيما ذُكر، فإذا تصاعد تفرّق شعبا ثلاثا، فذلك قوله:"ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ ".([1])

وفى وصف هذا الظل وجوه نفصلها فى المسائل التالية:

المسألة الأولى : وصف الظل بكونه :" ذِى ثلاث شُعَبٍ" وبيان المراد من هذه الشعب من عشرة أوجه: أحدها : قال الحسن : ما أدري ما هذا الظل ، ولا سمعت فيه شيئاً

وثانيها : قال قوم المراد بقوله : إلى ظل ذي ثلاث شعب كون النار من فوقهم ومن تحت أرجلهم ومحيطة بهم ، وتسمية النار بالظل مجاز من حيث إنها محيطة بهم من كل جانب كقوله :"لَهُمْ مّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مّنَ النار وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ" – الزمر : 16 – وقال تعالى :"يَوْمَ يغشاهم العذاب مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ" – العنكبوت : 55 –

وثالثها : قال قتادة : بل المراد الدخان وهو من قوله : " أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا" – الكهف : 29 – وسرادق النار هو الدخان ، ثم إن شعبة من ذلك الدخان على يمينه وشعبة أخرى على يساره ، وشعبة ثالثة من فوقه .

–قال الإمام الرازى– وهذا غير مستبعد لأن الغضب عن يمينه والشهوة عن شماله ، والقوة الشيطانية في دماغه ، ومنبع جميع الآفاق الصادرة عن

1 - جامع البيان ج24ص136

الإنسان في عقائده ، وفي أعماله ، ليس إلا هذه الثلاثة ، فتولدت من هذه الينابيع الثلاثة أنواع من الظلمات ، ويمكن أيضاً أن يقال : ههنا درجات ثلاثة ، وهي الحس والخيال ، والوهم ، وهي مانعة للروح عن الاستنارة بأنوار عالم القدس والطهارة ، ولكل واحد من تلك المراتب الثلاثة نوع خاص من الظلمة

ورابعها : قال قوم : هذا كناية عن كون ذلك الدخان عظيماً ، فإن الدخان العظيم ينقسم إلى شعب كثيرة وخامسها : قال أبو مسلم ويحتمل في ثلاث شعب ما ذكره بعد ذلك ، وهو أنه : غير ظليل وأنه لا يغني من اللهب وبأنها ترمى بشرر كالقصر . ([1])

وسادسها :قيل : إن الشعب الثلاث من الضَّريع ، والزَّقُّوم ، والغسلين؛ قاله الضحاك .

وسابعها:قيل : اللهب ثم الشرر ثُمَّ الدخان ، لأنها ثلاثة أحوال هي غاية أوصاف النار إذا اضطرمت واشتدت .

وثامنها :قيل : عنق يخرج من النار فيتشعب ثلاث شعب ، فأما النور فيقف على رءوس المؤمنين ، وأما الدخان فيقف على رءوس المنافقين ، وأما اللهب الصافي فيقف على رءوس الكفار .

وتاسعها :قيل هو السرادق ، وهو لسان من النَّار يحيط بهم يتشعب منه ثلاث شعب ، فيظلهم حتى يفرغ من حسابهم ، لقوله تعالى : " أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا "– الكهف : 29 – .وتَسْمِيَةُ النَّار بالظِّل مجاز من حيث إنها محيطةٌ بهم من كل جانب ، لقوله تعالى : "لَهُمْ مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النار

1 - التفسير الكبير ج 30ص241وص242

وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ "– الزمر : 16 – ، وقال تعالى : " يَوْمَ يَغْشَاهُمُ العذاب مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ " – العنكبوت : 55 –

وعاشرها: قيل : هو الظل من يحموم لقوله تعالى : " وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ لاَّ بَارِدٍ وَلاَ كَرِيمٍ "– الواقعة : 43 ، 44 –.([1])

المسألة الثانية : وصف الظل بكونه: " لاَّ ظَلِيلٍ" وهذا تهكم بهم وتعريض بأن ظلهم غير ظل المؤمنين ، والمعنى أن ذلك الظل لا يمنع حر الشمس.

"والظليل : القوي في ظِلاله ، اشتق له وصف من اسمه لإفادة كماله فيما يراد منه مثل : لَيْلٌ أَلْيَلُ ، وشِعْرٌ شَاعِرٌ ، أي ليس هو مثل ظل المؤمنين قال تعالى : "ونُدخلهم ظِلاًّ ظليلاً" – النساء : 57 – . وفي هذا تحسير لهم وهو في معنى قوله تعالى :" وظِلَ من يَحموم لا بَارِد ولا كريم "– الواقعة : 43 ، 44 – ...

والإغناء : جعل الغير غنياً ، أي غير محتاج في ذلك الغرض ، وتعديته بمِن على معنى البدلية أو لتضمينه معنى : يُبعد ، ومثله قوله تعالى : "وما أُغني عنكم من الله مِنْ شيء " – يوسف : 67 – . وبذلك سلب عن هذا الظل خَصائص الظلال لأن شأن الظل أن ينفس عن الذي يأوي إليه أَلَم الحر ."([2])

المسألة الثالثة:وصف الظل بقوله تعالى : " وَلاَ يُغْنِى مِنَ اللهب " يقال : أغن عني وجهك ، أي أبعده لأن الغني عن الشيء يباعده ، كما أن

1 انظر تفسير النكت والعيون ج 6ص 179بتصرف

2 - التحرير والتنوير ج 29ص436

المحتاج يقاربه واللهب ما يعلو عن النار إذا اضطرمت من أحمر وأصفر وأخضر ([1]).

المسألة الرابعة :قوله تعالى :"إنها ترمى بشرر كالقصر" والشرر : ما تطاير من قطع النار

وفى قوله "كالقصر" خمسة أوجه:

أحدها : أنه أصول الشجر العظام ، قاله الضحاك .

الثاني : كالجبل ، قاله مقاتل .

الثالث : القصر من البناء وهو واحد القصور ، قاله ابن مسعود .

الرابع : أنها خشبة كان أهل الجاهلية يقصدونها ، نحو ثلاثة أذرع ، يسمونها القصر ، قاله ابن عباس .

الخامس : أنها أعناق الدواب ، قاله قتادة .

ويحتمل وجهاً سادساً : أن يكون ذلك وصفاً من صفات التعظيم ، كنى عنه باسم القصر ، لما في النفوس من استعظامه ، وإن لم يُرِدْ به مسمى بعينه.([2])

وأولى هذه الأقوال ما روى عن ابن مسعود أنه القصر من البناء وهو واحد القصور قال الإمام الطبري : وأولى التأويلات به أنه القصر من القصور، وذلك لدلالة قوله:"كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ " على صحته، والعرب تشبه الإبل بالقصور المبنية، كما قال الأخطل في صفة ناقة:

---

1 - التفسير الكبير ج 30ص242 والنكت والعيون ج6 ص180

2 - النكت والعيون ج 6ص180

كأنها بُرْجُ رُوميٍّ يُشَيِّدُه... لُزَّ بِجصّ وآجُرٍّ وأحْجارِ ([1])

المسألة الخامسة قوله تعالى:"كأنّه جِمالةٌ صُفْرٌ " فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني جِمالاً صُفراً وأراد بالصفر السود ، سميت صفراً لأن سوادها يضرب إلى الصفرة ، وهو قول الحسن ومجاهد وقتادة ، قال الشاعر :

تلك خَيْلي منه وتلك رِكابي ... هُنّ صُفْرٌ أولادُها كالزبيبِ .([2])

الثاني : أنها قلوس السفن ، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير .

الثالث : أنها قطع النحاس ، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً .

وفي تسميتها بالجمالات الصفر وجهان :

أحدهما : لسرعة سيرها .

الثاني : لمتابعة بعضها لبعض .([3])

والظاهر من هذه الأقوال أن المراد بقوله "جمالة صفر"جمال صفر قال الإمام الطبري: وأولى الأقوال عندي بالصواب قول من قال: عُنِي بالجمالات الصفر: الإبل السود، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وأن الجِمالات جمع جِمال، نظير رِجال ورِجالات، وبُيوت وبُيوتات.([4])

ما ترشد إليه الآيات:

1- ديوان الأخطل ص 106 وانظر جامع البيان ج24 ص138 وما بعدها

2 - ديوان الأعشى ص23

3 - النكت والعيون ج 6ص180

4 - جامع البيان ج 24ص141

1- التهكم والسخرية من هؤلاء المكذبين بأمرهم بالاستظلال بما لا ظليل ولا غناء فيه.

2- وصف عذاب المجرمين المكذبين بجهنم وصفا تشيب له الولدان وتذهل كل مرضعة عما أرضعت فما تطاير من شررها كالبناء المرتفع فى الضخامة والعلو فما بالكم بهيكلها وقعرها.

المطلب الثانى

وصف ما يعتريهم يوم الفصل من عذاب نفسي وأدبى

قال تعالى :"هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ (35) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (36) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (37) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ (38) فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (39) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (40)

معانى المفردات وبيان أصلها اللغوى:

"ينطقون": نَطَقَ نَطْقًا مِنْ بَابِ ضَرَبَ وَمَنْطِقًا وَالنُّطْقُ بِالضَّمِّ اسْمٌ مِنْهُ وَأَنْطَقَهُ إِنْطَاقًا جَعَلَهُ يَنْطِقُ وَيُقَالُ نَطَقَ لِسَانُهُ كَمَا يُقَالُ نَطَقَ الرَّجُلُ وَنَطَقَ الْكِتَابُ بَيَّنَ وَأَوْضَحَ وَانْتَطَقَ فُلَانٌ تَكَلَّمَ .([1])

قال الراغب: النطق في التعارف الأصوات المقطعة التى يظهرها اللسان وتعيها الأذان قال "ما لكم لا تنطقون" ولا يكاد يقال إلا للإنسان ولا يقال لغيره إلا على سبيل التبع نحو الناطق والصامت فيراد بالناطق ما له صوت وبالصامت ما ليس له صوت ([2])

1 المصباح المنير ج2ص611

2 - المفردات ص496

"يؤذن": أَذِنْت لَهُ فِي كَذَا أَطْلَقْت لَهُ فِعْلَهُ وَالِاسْمُ الْإِذْنُ وَيَكُونُ الْأَمْرُ إذْنًا وَكَذَا الْإِرَادَةُ نَحْوُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَذِنْت لِلْعَبْدِ فِي التِّجَارَةِ فَهُوَ مَأْذُونٌ لَهُ([1])

قال الراغب: والإذن في الشئ إعلام بإجازته والرخصة فيه نحو: "وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله"–النساء :64– أي بإرادته وأمره.([2])

"فيعتذرون" (ع ذ ر) : عَذَرْتُهُ فِيمَا صَنَعَ عَذْرًا مِنْ بَابِ ضَرَبَ رَفَعْتُ عَنْهُ اللَّوْمَ فَهُوَ مَعْذُورٌ أَيْ غَيْرُ مَلُومٍ وَالِاسْمُ الْعُذْرُ... وَاعْتَذَرَ إلَيَّ طَلَبَ قَبُولَ مَعْذِرَتِهِ وَاعْتَذَرَ عَنْ فِعْلِهِ أَظْهَرَ عُذْرَهُ وَالْمُعْتَذِرُ يَكُونُ مُحِقًّا وَغَيْرَ مُحِقٍّ وَاعْتَذَرْتُ مِنْهُ بِمَعْنَى شَكَوْتُهُ وَعَذَرَ الرَّجُلُ وَأَعْذَرَ صَارَ ذَا عَيْبٍ وَفَسَادٍ .([3])

قال الراغب :العذر تحرى الانسان ما يمحو به ذنوبه. ويقال عذر وعذر وذلك على ثلاثة أضرب: إما أن يقول لم أفعل أو يقول فعلت لاجل كذا فيذكر ما يخرجه عن كونه مذنبا، أو يقول فعلت ولا أعود ونحو ذلك من المقال.([4])

"كيد" الكاف والياء والدال أصل صحيح يدل على معالجة لشئ بشدة ثم يتسع الباب وكله راجع إلى هذا الأصل قال أهل اللغة :الكيد المعالجة قالوا :وكل شئ تعالجه فأنت تكيده هذا هو الأصل فى الباب ، ثم يسمون المكر كيدا"([5]) وكَادَهُ كَيْدًا مِنْ بَابِ بَاعَ خَدَعَهُ وَمَكَرَ بِهِ وَالِاسْمُ الْمَكِيدَةُ([6])

---

1 - المصباح ج1ص9وص10
2 - المفردات ص14
3 - المصباح المنير ج2 ص398
4 - المفردات ص327
5 - معجم مقاييس اللغة ج5 ص149
6 - المصباح ج2 ص545

قال الراغب: الكيد ضرب من الاحتيال وقد يكون مذموما وممدوحا وإن كان يستعمل في المذموم أكثر وكذلك الاستدراج والمكر ويكون بعض ذلك محمودا، قال: (كذلك كدنا ليوسف) –يوسف 76– ([1])

الإعراب: "هذا يوم لا ينطقون" كلام مستأنف مسوق لبيان الحالة فى ذلك اليوم، وهذا مبتدأ ويوم خبره وجملة لا ينطقون فى محل جر بإضافة الظرف إليها، وقرئ بفتح الميم وهو على نصب الظرف متعلق بمحذوف خبر .

"ولا يؤذن لهم فيعتذرون" الواو حرف عطف ولا نافية ويؤذن فعل مضارع مبنى للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو ، ولهم متعلق بيؤذن والفاء حرف عطف ويعتذرون فعل مضارع معطوف على يؤذن منتظم فى سلك النفى من غير تسبب عنه ولهذا لم ينصب لأنه لو نصب لكان مسببا عنه لا محالة.

وعبارة السمين : وفى رفع يعتذرون وجهان :

أحدهما :أنه مستأنف أى فهم يعتذرون قال أبو البقاء :

ويكون المعنى أنهم لا ينطقون نطقا ينفعهم أو ينطقون فى بعض المواقف ولا ينطقون فى بعضها.([2])

والثانى: أنه معطوف على يؤذن فيكون منفيا ولو نصب لكان مسببا عنه قال البيضاوى:عطف يعتذرون على يؤذن ليدل على نفى الإذن والاعتذار

---

1 - المفردات ص443

2 - إملاء ما من به الرحمن ج2ص279

عقبه مطلقا ولو جعله جوابا لدل على أن عدم اعتذارهم لعدم الإذن وأوهم ذلك أن لهم عذرا لكن لم يؤذن لهم فيه.([1])

"هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين" الجملة مقول قول محذوف أى ويقال لهم هذا،وهذا مبتدأ ويوم الفصل خبره ، وجملة جمعناكم مفسرة موضحة لقول هذا يوم الفصل..والواو عاطفة أو للمعية والأولين معطوف على الكاف أو مفعول معه.

"فإن كان لكم كيد فكيدون" الفاء عاطفة وإن شرطية وكان فعل ماض ناقص ولكم خبرها المقدم وكيد اسمها المؤخر والفاء رابطة لجواب الشرط لأنه جملة طلبية وكيدون فعل أمر مبنى على حذف النون والواو فاعل والنون للوقاية وياء المتكلم المحذوفة مفعول به.([2])

الصور البلاغية:

"هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ"سجع مرصع وهو توافق الفواصل فى الحرف الأخير.([3])

"هذا "اسم الإشارة الذي هو إشارة إلى القريب مستعمل في مشار إليه بعيد باعتبار قرب الحديث عنه على ضرب من المجاز أو التسامح .([4])

"هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ" تكرير لتوبيخهم بعد جملة "انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون " – المرسلات : 29 – شُيع به القول الصادر بطردهم

---

1 - تفسير البيضاوى ج5ص436ط دار الفكر بيروت والدر المصون ج10 ص644

2 - إعراب القرآن وبيانه ج10ص345

3 - التفسير المنير ج9 ص326

4 - التحرير والتنوير ج 29ص439

وتحقيرهم ، فإن المطرود يشيّع بالتوبيخ ، فهو مما يقال لهم يومئذٍ ، ولم تعطف بالواو لأنها وقعت موقع التذييل للطرد ، وذلك من مقتضيات الفصل سواء كان التكرير بإعادة اللفظ والمعنى ، أم كان بإعادة المعنى والغرض.([1])

"فإن كان لكم كيد فكيدون"والأمر للتعجيز ، والشرط للتوبيخ والتذكير بسوء صنيعهم في الدنيا ، والتسجيل عليهم بالعجز عن الكيد يومئذٍ حيث مُكِّنوا من البحث عما عسى أن يكون لهم من الكيد فإذا لم يستطيعوه بعد ذلك فقد سُجل عليهم العجز . وهذا من العذاب الذي يعذَّبونه إذ هو من نوع العذاب النفساني وهو أوقع على العاقل من العذاب الجسماني .([2])

القراءات الواردة فى الآيات:

وقرأ الأعمش والأعرج وزيد بن علي وعيسى وأبو حيوة وعاصم في رواية : " هذا يوم لا ينطقون " ، بفتح الميم والجمهور : برفعها . قال ابن عطية : لما أضاف إلى غير متمكن بناه فهي فتحة بناء ، وهي في موضع رفع . وقال صاحب اللوامح : قال عيسى : هي لغة سفلى مضر ، يعني بناءهم يوم مع لا على الفتح ، لأنهم جعلوا يوم مع لا كالاسم الواحد ، فهو في موضع رفع لأنه خبر المبتدأ . انتهى . والجملة المصدرة بمضارع مثبت أو منفي لا يجيز البصريون في الظرف المضاف إليها البناء بوجه ، وإنما هذا مذهب كوفي .

1 - التحرير والتنوير ج 29ص441

2 - التحرير والتنوير ج 29ص442

قال صاحب اللوامح : ويجوز أن يكون نصباً صحيحاً على الظرف ، فيصير هذا إشارة إلى ما تقدمه من الكلام دون إشارة إلى يوم ، ويكون العامل في نصب يوم نداء تقدمه من صفة جهنم ، ورميها بالشرر في يوم لا ينطقون ، فيكون يومئذ كلام معترض لا يمنع من تفريغ العامل للمعمول، كما كانت "فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان"- الرحمن47، 48- انتهى .

وقال ابن عطية : ويحتمل أن يكون ظرفاً ، وتكون الإشارة بهذا إلى رميها بشرر .

وقال الزمخشري : ونصبه الأعمش ، أي هذا الذي قص عليكم واقع يومئذ..... وقرأ القراء كلهم فيما أعلم : " ولا يؤذن " مبنياً للمفعول . وحكى أبو علي الأهوازي أن زيد بن علي قرأ : ولا يأذن ، مبنياً للفاعل ، أي الله تعالى([1])

المعنى الإجمالى:تتحدث هذه الآيات عن يوم الفصل الذى يفصل فيه بين الخلائق كلها بين الحق والباطل وبين المظلوم والظالم بلا ظلم أو إجحاف على رؤس الأشهاد بعد أن يجمع الله فيه الأوليين والآخرين من لدن آدم إلى قيام الساعة ، فيشعر الظالم بالخذى والندامة ويفتضح أمره أمام هذا الجمع ،فيجتمع عليه عذابان عذاب الخجالة والعار وهو أوقع على النفس وأشد ألما من العذاب الجسمانى ، ومن هول هذا الموقف تخشع الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا،وحينئذ تنقطع الحجة وتنعدم المعذرة فلا يستطيعون نطقا ،ولن يجدوا لهم مخرجا أو حيلة يحتالون بها للخلاص من

1 - البحر المحيط ج 8ص399وانظر المحرر الوجيز ج5ص420ط دار الكتب العلمية الطبعة الأولى سنة1993م ومعجم القراءات ج10 ص251

الهلاك فيقال لهم "إن كان لكم كيد فكيدون" أى ضرب من المكر والخداع لتدفعوا عنكم كما كنتم تفعلون فى الدنيا فيه من التعجيز والتقريع ما فيه فلا يستحقون إلا الويل والعذاب قال تعالى:"ويل يومئذ للمكذبين"

الشرح والتحليل

مناسبة الآيات لما قبلها: بعد أن تحدثت الآيات السابقة عما أصاب المكذبين من عذاب جسمانى بانطلاقهم إلى جهنم ووصفها بما ذكر تحدثت هذه الآيات عن نوع آخر من العذاب وهو النفسي والأدبى بما يصيبهم من الخجل والافتضاح على رؤس الأشهاد وانقطاع الحجة وعدم المعذرة وحسرتهم على ما فرطوا فى جنب لاسيما إذا رأوا خصومهم الذين استخفوا بهم واحتقروهم قد فازوا بالثواب والنعيم ولا ريب أن وقع العذاب النفسي على صاحبه أشد من العذاب الجسمانى.

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذّبين بثواب الله وعقابه:"هَذَا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ" أهل التكذيب بثواب الله وعقابه "وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ" مما اجترموا في الدنيا من الذنوب.ويندرج تحت هذه الآية ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى:مفاد هذه الآيات أن الكفار والمكذبين لا يتكلمون فى هذا اليوم وهذا ظاهره موهم للتناقض مع آيات أخرى تخبر عن كلامهم وسؤالهم فى هذا اليوم.

وقد سأل نافع ابن الأزرق حبر الأمة عن ظاهر هذا التناقض "فعن عكرمة عن ابن عباس قال: سأله ابن الازرق عن قوله تعالى: " هذا يوم لا ينطقون " و " فلا تسمع إلا همسا " – طه: 108– وقد قال تعالى: " وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون " – الصافات: 27 – فقال له: إن الله

عز وجل يقول: " وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون " – الحج: 47 – فإن لكل مقدار من هذه الأيام لونا من هذه الألوان.

وقيل: لا ينطقون بحجة نافعة، ومن نطق بما لا ينفع ولا يفيد فكأنه ما نطق.

وللعلماء وجوه أخرى لدفع هذا التناقض:

قال الحسن: لا ينطقون بحجة وإن كانوا ينطقون.

وقيل: إن هذا وقت جوابهم " اخسئوا فيها ولا تكلمون " – المؤمنون: 108-.

وقال أبو عثمان: أسكتتهم رؤية الهيبة وحياء الذنوب.

وقال الجنيد: أي عذر لمن أعرض عن منعمه وجحده وكفر أياديه ونعمه؟([1])

وقال الفراء : أراد بقوله : "يَوْمُ لاَ يَنطِقُونَ " تلك الساعة وذلك القدر من الوقت الذي لا ينطقون فيه ، كما يقول : آتيك يوم يقدم فلان ، والمعنى ساعة يقدم وليس المراد باليوم كله ، لأن القدوم إنما يكون في ساعة يسيرة ، ولا يمتد في كل اليوم([2])

قال الإمام الطبري فإن قال: فهل من بُرهان يعلم به حقيقة ذلك؟ قيل: نعم، وذلك إضافة يوم إلى قوله:" لا يَنْطِقُونَ " والعرب لا تُضيف اليوم إلى فعل يفعل، إلا إذا أرادت الساعة من اليوم والوقت منه، وذلك كقولهم: آتيك يومَ

1 - الجامع لأحكام القرآن ج19 ص166

2 - التفسير الكبير ج 30ص 245

يقدمُ فلان، وأتيتك يوم زارك أخوك، فمعلوم أن معنى ذلك: أتيتك ساعة زارك، أو آتيك ساعة يقدُم، وأنه لم يكن إتيانه إياه اليوم كله، لأن ذلك لو كان أخذ اليوم كله لم يضف اليوم إلى فعل ويفعل، ولكن فعل ذلك إذ كان اليوم بمعنى إذ وإذا اللتين يطلبان الأفعال دون الأسماء.([1])

وقال الإمام الرازى : إن قوله : " لاَ يَنطِقُونَ " لفظ مطلق ، والمطلق لا يفيد العموم لا في الأنواع ولا في الأوقات ، بدليل أنك تقول : فلان لا ينطق بالشر ولكنه ينطق بالخير ، وتارة تقول : فلان لا ينطق بشيء ألبتة ، وهذا يدل على أن مفهوم لا ينطق قدر مشترك بين أن لا ينطق ببعض الأشياء ، وبين أن لا ينطق بكل الأشياء ، وكذلك تقول : فلان لا ينطق في هذه الساعة ، وتقول : فلان لا ينطق ألبتة ، وهذا يدل على أن مفهوم لا ينطق مشترك بين الدائم والموقت ، وإذا كان كذلك فمفهوم لا ينطق يكفي في صدقه عدم النطق ببعض الأشياء وفي بعض الأوقات ، وذلك لا ينافي حصول النطق بشيء آخر في وقت آخر ، فيكفي في صدق قوله : " لاَ يَنطِقُونَ " أنهم لا ينطقون بعذر وعلة في وقت السؤال ، وهذا الذي ذكرناه إشارة إلى صحة الجوابين الأولين بحسب النظر العقلي ، فإن قيل : لو حلف لا ينطق في هذا اليوم ، فنطق في جزء من أجزاء اليوم يحنث؟ قلنا : مبني الأيمان على العرف ، والذي ذكرناه بحث عن مفهوم اللفظ من حيث إنه هو

ورابعها : أن هذه الآية وردت عقيب قول خزنة جهنم لهم " انطلقوا إلى ظِلّ ذِى ثلاث شُعَبٍ " فينقادون ويذهبون ، فكأنه قيل : إنهم كانوا يؤمرون في الدنيا بالطاعات فما كانوا يلتفتون . أما في هذه الساعة فقد صاروا

1 - جامع البيان ج24 ص142

منقادين مطيعين في مثل هذا التكليف الذي هو أشق من كل شيء ، تنبيهاً على أنهم لو تركوا الخصومة في الدنيا لما احتاجوا في هذا الوقت إلى هذا الانقياد الشاق ، والحاصل أن قوله : " هذا يَوْمُ لاَ يَنطِقُونَ " متقيد بهذا الوقت في هذا العمل ، وتقييد المطلق بسبب مقدمة الكلام مشهور في العرف ،بدليل أن المرأة إذا قالت : أخرج هذه الساعة من الدار ،فقال الزوج : لو خرجت فأنت طالق ،فإنه يتقيد هذا المطلق بتلك الخرجة ، فكذا ههنا .([1])

فالقدر المشترك بين هذه الأجوبة السابقة هو اختلاف المواضع والمواقف فالمواطن التى يؤذن لهم فيها بالكلام ويوجه إليهم بالسؤال غير المواطن التى لا يؤذن لهم فيها ولا يسألون عندها وبهذا يندفع ماظاهره التعارض والله أعلم.

المسألة الثانية : قوله : " وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ " يوهم أن لهم عذراً وقد منعوا من ذكره ، وهذا لا يليق بالحكيم والجواب : أنه ليس لهم في الحقيقة عذر ولكن ربما تخيلوا خيالاً فاسداً أن لهم فيه عذراً ، فهم لا يؤذن لهم في ذلك ذكر العذر الفاسد ، ولعل ذلك العذر الفاسد هو أن يقول : لما كان الكل بقضائك وعلمك ومشيئتك وخلقك فلم تعذبني عليه ، فإن هذا عذر فاسد إذ ليس لأحد أن يمنع المالك عن التصرف في ملكه كيف شاء وأراد ، فإن قيل : أليس أنه قال : " رُّسُلاً مُّبَشّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى الله حُجَّةٌ بَعْدَ الرسل " – النساء : 165 – وقال : "وَلَوْ أَنَّا أهلكناهم بِعَذَابٍ مّن قَبْلِهِ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً" – طه : 134 – والمقصود من كل ذلك أن لا يبقى في قلبه ، أن له عذراً ، فهب أن عذره

1 - التفسير الكبير ج30 ص245وص246

في موقف القيامة فاسد فلم لا يؤذن له في ذكره حتى يذكره ثم يبين له فساده؟ قلنا : لما تقدم الأعذار والإنذار في الدنيا بدليل قوله : " فالملقيات ذِكْراً ، عُذْراً أَوْ نُذْراً " – المرسلات : 6 – كان إعادتها غير مفيدة .([1])

المسألة الثالثة : لم لم يقل : ولا يؤذن لهم فيعتذروا؟ كما قال : " لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ " – فاطر : 36 – الجواب : الفاء ههنا للعطف فقط ، ولا يفيد كونه جزاء مطلقا ومثله " مَّن ذَا الذى يُقْرِضُ الله قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ " – البقرة : 245 – بالرفع والنصب ، وإنما رفع يعتذرون بالعطف لأنه لو نصب لكان ذلك يوهم أنهم ما يعتذرون لأنهم لم يؤذنوا في الاعتذار ، وذلك يوهم أن لهم فيه عذراً منعوا عن ذكره وهو غير جائز .

أما لما رفع كان المعنى أنهم لم يؤذنوا في العذر وهم أيضاً لم يعتذروا لا لأجل عدم الإذن بل لأجل عدم العذر في نفسه ، ثم إن فيه فائدة أخرى وهي حصول الموافقة في رءوس الآيات لأن الآيات بالواو والنون ، ولو قيل : فيعتذروا لم تتوافق الآيات.

قال الإمام الطبري: وقوله:"فَيَعْتَذِرُونَ " رفعا عطفا على قوله:" وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ " وإنما اختير ذلك على النصب وقبله جحد، لأنه رأس آية قرن بينه وبين سائر رءوس التي قبلها، ولو كان جاء نصبا كان جائزا، كما قال:(لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا) وكلّ ذلك جائز فيه، أعني الرفع والنصب، كما قيل:" مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ " رفعا ونصبا.([2])

1 - التفسير الكبير ج 30ص246

2 - جامع البيان ج24 ص142

قوله تعالى "هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ (38) فأما قوله : " هذا يَوْمُ الفصل " فاعلم أن ذلك اليوم يقع فيه نوعان من الحكومة أحدهما : ما بين العبد والرب وفي هذا القسم كل ما يتعلق بالرب فلا حاجة فيه إلى الفصل وهو ما يتعلق بالثواب الذي يستحقه المرء على عمله وكذا في العقاب إنما يحتاج إلى الفصل فيما يتعلق بجانب العبد وهو أن تقرر عليهم أعمالهم التي عملوها حتى يعترفوا .

والقسم الثاني : ما يكون بين العباد بعضهم مع بعض ، فإن هذا يدعى على ذاك أنه ظلمني وذاك يدعى على هذا أنه قتلني فههنا لا بد فيه من الفصل وقوله : " جمعناكم والأولين " كلام موضح لقوله : " هذا يَوْمُ الفصل" لأنه لما كان هذا اليوم يوم فصل حكومات جميع المكلفين فلا بد من إحضار جميع المكلفين لا سيما عند من لا يجوز القضاء على الغائب ، ثم قال : "فَإِن كَانَ لَكُمُ كَيْدٌ فَكِيدُونِ " يشير به إلى أنهم كانوا يدفعون الحقوق عن أنفسهم بضروب الحيل والكيد فكأنه قال : فههنا إن أمكنكم أن تفعلوا مثل تلك الأفعال المنكرة من الكيد والمكر والخداع والتلبيس فافعلوا ، وهذا كقوله تعالى : "فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مّن مّثْلِهِ " – البقرة : 23 – ثم إنهم يعلمون أن الحيل منقطعة والتلبيسات غير ممكنة ، فخطاب الله تعالى لهم في هذه الحالة بقوله : "فَإِن كَانَ لَكُمُ كَيْدٌ فَكِيدُونِ " نهاية في التخجيل والتقريع ، وهذا من جنس العذاب الروحاني ، فلهذا قال عقيبة : "وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لّلْمُكَذّبِينَ " .([1])

" فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ"أى فإن كان لكم كيد أي حيلة في الخلاص من الهلاك " فكيدوني " أي فاحتالوا لأنفسكم وقاوموني ولن تجدوا ذلك.

1 - التفسير الكبير ج 30ص247

وقيل: أي " فإن كان لكم كيد " أي قدرتم على حرب " فكيدوني " أي حاربوني.

كذا روى الضحاك عن ابن عباس. قال: يريد كنتم في الدنيا تحاربون محمدا –صلى الله عليه وسلم –وتحاربونني فاليوم حاربوني.

وقيل: أي إنكم كنتم في الدنيا تعملون بالمعاصي وقد عجزتم الآن عنها وعن الدفع عن أنفسكم.

وقيل: إنه من قول النبي صلى الله عليه وسلم ، فيكون كقول هود:" فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون "هود: 55 –.([1])

ما ترشد إليه الآيات:

1- بيان العذاب الأدبى والنفسى الذى يقع على المجرمين المكذبين فلا يتكلمون ولا تسمع لهم همسا حيث تغيب عنهم الحجة وتنقطع عنهم المعذرة.

2- من تمام عذاب الخجالة والتقريع النفسي أن يجتمع الأولون والأخرون فيشاهدون ما يلحق بالمكذبين من خزى وندامة وما يقع عليهم من عذاب أليم.

3- تعجيز المجرمين بفعل ما يدفعون عن أنفسهم من ضروب الخداع والحيل كما كانوا يفعلون فى الدنيا فلا يستطيعون.

1 - الجامع لأحكام القرآن ج19 ص167

المبحث الرابع

مقابلة حال المتقين المحسنين بحال المكذبين المجرمين

قال تعالى: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (41) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (42) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (43) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (44) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (45) كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ (46) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (47) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (48) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (49) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (50).

معانى المفردات وبيان أصلها اللغوى:

يشتهون: أصل الشهوة نزوع النفس إلى ما تريده وذلك في الدنيا ضربان صادقة وكاذبة فالصادقة ما يختل البدن من دونه كشهوة الطعام عند الجوع، والكاذبة ما لا يختل من دونه، وقد يسمى المشتهى شهوة وقد يقال للقوة التى تشتهى الشئ شهوة ([1])

"هنيئا": الهنئ كل ما لا يلحق فيه مشقة ولا يعقب وخامة وأصله في الطعام يقال هنئ الطعام فهو هنئ، قال عز وجل (فكلوه هنيئا مريئا – كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم – كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون)([2])

"يركعون": الركوع الانحناء فتارة يستعمل في الهيئة المخصوصة في الصلاة كما هي وتارة في التواضع والتذلل إما في العبادة وإما في غيرها.([3])

---

1 - المفردات ص270

2 - المفردات ص546

3 - المفردات ص202

الإعراب:قوله تعالى : "إن المتقين فى ظلال وعيون" إن حرف ناسخ ينصب المبتدأ ويرفع الخبر، والمتقين اسم إن منصوب بالياء، وفى ظلال الجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره مستقرون خبر إن، وقوله"وعيون" عطف على ظلال ، وقوله "وفواكه مما يشتهون" عطف أيضا على ظلال وعيون و"مما" نعت لفواكه وجملة"يشتهون" صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

قوله تعالى "كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون" معمولا لقول ذلك القول منصوب على الحال من الضمير المستكن فى الظرف أى كائنين فى ظلال مقولا لهم ذلك، وكذلك قوله "كلوا وتمتعوا قليلا" فإن كان ذلك فى الدنيا فواضح ،وإن كان مقولا فى الآخرة فيكون تذكيرا بحالهم أى :هم أحقاء بأن يقال لهم فى دنياهم كذا.([1])

قوله تعالى":"فبأى حديث" متعلق بقوله"يؤمنون" أى إن لم يؤمنوا بهذا القرآن فبأى شئ يؤمنون.([2])

قال شيخ زاده: "فبأى حديث بعده يؤمنون"جواب شرط محذوف يعنى إذا لم يؤمنوا به فبأى كتاب يؤمنون([3])

الصور البلاغية:

1 - الدر المصون ج10 ص644

2 المصدر السابق نفس الصفحة

3 - حاشية زادة على البيضاوى ج8 ص466

1- فى قوله تعالى :"إن المتقين فى ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون" مجازمرسل علاقته المكانية وهى الجنة لأن الظلال تمتد والعيون تجرى والفواكه تنضج فيها.

2- قوله تعالى "كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون" استئناف ناشىء عن قوله : " إنا كذلك نجزي المحسنين " – المرسلات : 44 – إذ يثير في نفوس المكذبين المخاطبين بهذه القوارع ما يكثر خطوره في نفوسهم من أنهم في هذه الدنيا في نعمة محققة وأن ما يُوعدون به غير واقع فقيل لهم : "كلوا وتمتّعوا قليلاً " .([1])

3- الأمر في قوله : " كلُوا وتمتَّعوا " ليس على حقيقته بل هو مستعمل في الإمهال والإنذار ، أي ليس أكلكم وتمتعكم بلذات الدنيا بشيء لأنه تمتع قليل ثم مأواكم العذاب الأبدي قال تعالى : " لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبيس المهاد " – آل عمران : 196 ، 197 – .([2])

4- قوله تعالى "إنكم مجرمون" تعليل لما قبله قال صاحب التحرير والتنوير: وجملة " إنكم مجرمون " خبر مستعمل في التهديد والوعيد بالسوءِ ، أي إن إجرامكم مُهْوٍ بكم إلى العذاب ، وذلك مستفاد من مقابلة وصفهم بالإجرام بوصف " المتقين "– المرسلات : 41 – بالإحسان إذ الجزاء من جنس العمل ، فالجملة واقعة موقع التعليل .

5- التأكيد بإنَّ فى قوله"إنكم مجرمون" لرد إنكارهم كونَهم مجرمين .

---

1 - التحرير والتنوير ج 29 ص445

2 - التحرير والتنوير ج29 ص445 وص446 بتصرف يسير فى العبارة

6- فى قوله تعالى"وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون " مجاز مرسل علاقته الجزئية لأنه سمى الصلاة باسم جزء من أجزائها وهو الركوع وإنما خص الركوع بالذكر مع أن الصلاة تشتمل على أفعال كثيرة لأن العرب كانوا يأنفون من الركوع والسجود.

القراءات الواردة فى الآيات:

1- قرأ الجمهور فى "ظلال" جمع ظل وقرأ الأعمش فى ظلل جمع ظلة.([1])

2- قرأ العامة "يؤمنون"على الغيبة وقرأ ابن عامر فى رواية ويعقوب "تؤمنون" بالخطاب على الالتفات أو على الانتقال.([2])

المعنى الإجمالى للآيات: بعد أن بين الله تعالى أنواع العذاب والخزى والنكال على الكفار قابل ذلك للعظة والعبرة بأحوال المؤمنين فى الآخرة ، وبين لهم من أنواع السعادة والكرامة فتتضاعف حسرة الكافر وتتزايدغمومه وهمومه وفى هذامن العذاب النفسي ما فيه، ثم وبخ الله تعالى الكفار وهددهم بزوال نعم الدنيا فى وقت عاجل وتعرضهم للأفات والمصائب العظيمة فى الآخرة ، ثم ذكرهم بتقصيرهم فى طاعة الله وإهمالهم فريضة الصلاة وتركهم الإيمان بالقرآن الذى لا جدوى من الإيمان بغيره من الكتب السماوية الأخرى التى نسخت وأصابها من التبديل والتحريف ما أصابها.

الشرح والتحليل

مناسبة الآيات لما قبلها: أنه تعالى لما بعث الكفار إلى ظل ذي ثلاث شعب أعد في مقابلته للمؤمنين ثلاثة أنواع من النعمة أولها : قوله : " إِنَّ

1 - البحر المحيط ج 8ص399ومعجم القراءات ج10 ص253

2 - الدر المصون ج10ص 645ومعجم القراءات ج10 ص255

المتقين فِى ظلال وَعُيُونٍ " كأنه قيل : ظلالهم ما كانت ظليلة ، وما كانت مغنية عن اللهب والعطش أما المتقون فظلالهم ظليلة ، وفيها عيون عذبة مغنية لهم عن العطش وحاجزة بينهم وبين اللهب ومعهم الفواكه التي يشتهونها ويتمنونها ، ولما قال للكفار:" انطلقوا إلى ظِلّ ذِى ثلاث شُعَبٍ "قال للمتقين : " كُلُواْ واشربوا هَنِيئَاً " فإما أن يكون ذلك الإذن من جهة الله تعالى لا بواسطة ، وما أعظمها ، أو من جهة الملائكة على وجه الإكرام ، ومعنى " هَنِيئَاً " أي خالص اللذة لا يشوبه سقم ولا تنغيص .([1])

قال صاحب البحر المحيط: ولما كان فى سورة الإنسان ذكر نزرا من أحوال الكفار فى الآخرة وأطنب فى وصف حال المؤمنين فيها جاء فى هذه السورة الإطناب فى وصف الكفار والإيجاز فى وصف المؤمنين فوقع بذلك الاعتدال بين السورتين.([2])

قوله تعالى :"إن المتقين فى ظلال وعيون..الآيات يقول تعالى ذكره: إن الذين اتقوا عقاب الله بأداء فرائضه في الدنيا، واجتناب معاصيه" فِي ظِلالٍ " ظليلة، وكِنّ كَنِين، لا يصيبهم أذى حرّ ولا قرّ، إذ كان الكافرون بالله في ظلّ ذي ثلاث شعب، لا ظليل ولا يغني من اللهب " وَعُيُونٍ " أنهار تجري خلال أشجار جناتهم "وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ" يأكلون منها كلما اشتهوا لا يخافون ضرّها، ولا عاقبة مكروهها.

وقوله:" كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ " يقول تعالى ذكره: يقال لهم: كلوا أيها القوم من هذه الفواكه، واشربوا من هذه العيون كلما اشتهيتم

1 - التفسير الكبير ج 30ص248

2 - البحر المحيط ج8 ص399

هنيئا: يقول: لا تكدير عليكم، ولا تنغيص فيما تأكلونه وتشربون منه، ولكنه لكم دائم، لا يزول، ومريء لا يورثكم أذى في أبدانكم.

وقوله:" بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ " يقول جلّ ثناؤه: يقال لهم: هذا جزاء بما كنتم في الدنيا تعملون من طاعة الله، وتجتهدون فيما يقرّبكم منه.

وقوله:" إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ " يقول: إنا كما جزينا هؤلاء المتقين بما وصفنا من الجزاء على طاعتهم إيانا في الدنيا، كذلك نجزي ونثيب أهل الإحسان فى طاعتهم إيانا، وعبادتهم لنا في الدنيا على إحسانهم لا نضيع في الآخرة أجرهم.([1])

قوله تعالى : "كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون"يقول تعالى ذكره تهدّدا ووعيدا منه للمكذبين بالبعث: كلوا في بقية آجالكم، وتمتعوا ببقية أعماركم"إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ " مَسْئُولٌ بكم سنة من قبلكم من مجرمي الأمم الخالية التي متعت بأعمارها إلى بلوغ كتبها آجالها، ثم انتقم الله منها بكفرها، وتكذبيها رسلها.([2])

قال الإمام الرازى: اعلم أن هذا هو النوع التاسع : من أنواع تخويف الكفار ، كأنه تعالى يقول للكافر حال كونه في الدنيا إنك إنما عرضت نفسك لهذه الآفات التي وصفناها ولهذه المحن التي شرحناها لأجل حبك للدنيا ورغبتك في طيباتها وشهواتها إلا أن هذه الطيبات قليلة بالنسبة إلى تلك الآفات العظيمة والمشتغل بتحصيلها يجري مجرى لقمة واحدة من الحلواء ، وفيها السم المهلك فإنه يقال لمن يريد أكلها ولا يتركها بسبب نصيحة الناصحين

1 - جامع البيان ج 24ص143

2 -جامع البيان ج24 ص144

وتذكير المذكرين : كل هذا وويل لك منه بعد هذا فإنك من الهالكين بسببه، وهذا وإن كان في اللفظ أمراً إلا أنه في المعنى نهي بليغ وزجر عظيم ومنع في غاية المبالغة .([1])

قوله تعالى "وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون" فيه مسائل:

المسألة الأولى: ماورد فى سبب نزول الآية: قال مقاتل : نزلت في ثقيف امتنعوا من الصلاة بعد أن أمرهم النبيّ صلى الله عليه وسلم بها فقالوا : لا ننحني ، فإنها مسبة علينا ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : " لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود "([2])

المسألة الثانية: قال ابن عباس رضي الله عنهما قوله : " وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اركعوا لاَ يَرْكَعُونَ " المراد به الصلاة ، وهذا ظاهر لأن الركوع من أركانها ، فبين تعالى أن هؤلاء الكفار من صفتهم أنهم إذا دعوا إلى الصلاة لا يصلون ، وهذا يدل على أن الكفار مخاطبون بفروع الشرائع ، وأنهم حال كفرهم كما يستحقون الذم والعقاب بترك الإيمان ، فكذلك يستحقون الذم والعقاب بترك الصلاة لأن الله تعالى ذمهم حال كفرهم على ترك الصلاة ،

1 - التفسير الكبير ج 30ص248 وص249

2 - فتح القدير ج5 ص 361ط دارالفكر بيروت والجامع لأحكام القرأن ج19ص168ولباب النقول ص226 ط دار إحياء العلوم بيروت والحديث أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الخراج والإمارة والفئ باب ما جاء فى خبر الطائف ج 3 ص163 والبيهقى فى السنن الكبرى باب المشرك يدخل المسجد غير المسجد الحرام ج2 ص442ط مكتبة دار الباز مكة المكرمة سنة1414 هجرية تحقيق محمد عبد القادر عطا

وقال قوم آخرون : المراد بالركوع الخضوع والخشوع لله تعالى ، وأن لا يعبد سواه .([1])

المسألة الثالثة: القائلون بأن الأمر للوجوب استدلوا بهذه الآية ، لأنه تعالى ذمهم بمجرد ترك المأمور به ، وهذا يدل على أن مجرد الأمر للوجوب ، فإن قيل : إنهم كفار فلكفرهم ذمهم؟ قلنا : إنه تعالى ذمهم على كفرهم من وجوه كثيرة ، إلا أنه تعالى إنما ذمهم في هذه الآية لأنهم تركوا المأمور به ، فعلمنا أن ترك المأمور به غير جائز .([2])

المسألة الرابعة: قال القاضى أبوبكر ابن العربى :هَذِهِ الْآيَةُ حُجَّةٌ عَلَى وُجُوبِ الرُّكُوعِ وَإِنْزَالِهِ رُكْنًا فِي الصَّلَاةِ ، وَقَدْ انْعَقَدَ الْإِجْمَاعُ عَلَيْهِ ، وَظَنَّ قَوْمٌ أَنَّ هَذَا إنَّمَا يَكُونُ فِي الْقِيَامَةِ ، وَلَيْسَتْ بِدَارِ تَكْلِيفٍ ، فَيَتَوَجَّهُ فِيهَا أَمْرٌ يَكُونُ عَلَيْهِ وَيْلٌ وَعِقَابٌ ، وَإِنَّمَا يُدْعَوْنَ إلَى السُّجُودِ كَشْفًا لِحَالِ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا ، فَمَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ تَمَكَّنَ مِنْ السُّجُودِ ، وَمَنْ كَانَ يَسْجُدُ رِئَاءً لِغَيْرِهِ صَارَ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا .([3])

وقال الإمام القرطبي:وقيل: أي إذا قيل لهم اخضعوا للحق لا يخضعون، فهو عام في الصلاة وغيرها وإنما ذكر الصلاة، لانها أصل الشرائع بعد التوحيد.

وقيل: الأمر بالإيمان لأنها لا تصح من غير إيمان.([4])

---

1 - التفسير الكبير ج 30 ص249

2 - التفسير الكبير ج30 ص249

3 - أحكام القرآن لابن العربى ج4 ص359ط دار الفكر تحقيق محمد عبد القادر عطا

4 - الجامع لأحكام القرآن ج19 ص169

قوله تعالى: "فبأى حديث بعده يؤمنون" أبالباطل الذي هو كاسمه، لا يقوم عليه شبهة فضلا عن الدليل؟ أم بكلام كل مشرك كذاب أفاك مبين؟.

فليس بعد النور المبين إلا دياجى الظلمات، ولا بعد الصدق الذي قامت الأدلة والبراهين على صدقه إلا الكذب الصراح والإفك المبين ، الذي لا يليق إلا بمن يناسبه.

فتبا لهم ما أعماهم! وويحا لهم ما أخسرهم وأشقاهم![1]

قال ابن أبي حاتم: حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان، عن إسماعيل بن أمية: سمعت رجلا أعرابيا بَدَويا يقول: سمعت أبا هريرة يرويه إذا قرأ: " وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا " فقرأ: " فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ " ؟ فليقل: آمنت بالله وبما أنزل. وروى أبو داودحدثنا عبد الله بن محمد الزهري ثنا سفيان حدثني إسماعيل بن أمية سمعت أعرابيا يقول سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله من قرأ منكم " والتين والزيتون " فانتهى إلى آخرها أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ " لا أقسم بيوم القيامة " فانتهى إلى " أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى " فليقل بلى ومن قرأ " والمرسلات (فبلغ) فبأي حديث بعده يؤمنون " فليقل آمنا بالله قال إسماعيل ذهبت أعيد على الرجل الأعرابي وأنظر لعله فقال يا بن أخي أتظن أني لم أحفظه لقد حججت ستين حجة ما منها حجة إلا وأنا أعرف البعير الذي حججت عليه [2]

---

1 - تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى ص1068ط مجلة البيان تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق

2 - تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج8 ص301 وسنن أبى داو د كتاب الصلاة باب مقدار الركوع والسجود ج1 ص234ط دار الفكر وقد جاء تسمية هذاالأعرابى

ويتفرع من هذين الحديثين مسألة فقهية " حكم الدعاء أو التسبيح أو السؤال عقب قراءة الآيات التى تفيد ذلك فى الصلاة:

قال المظهر عند الشافعى يجوز مثل هذه الأشياء فى الصلاة وفى غيرها، وعند أبى حنيفة لا يجوز إلا فى غيرها

قال التوربشتى:وكذا عند مالك يجوز فى النوافل..قلت ظاهر الحديث يوافق ما ذهب إليه الشافعى لأن قوله كان إذا قرأ عام يشمل الصلاة وغيرها وحديث حذيفة([1]) مقيد بصلاة الليل([2]) كما مر فهو حجة على من لم يجوز التسبيح والسؤال والتعوذ عند المرور بآية فيها تسبيح أو سؤال أو تعوذ فى الصلاة مطلقا..وفى معنى كلام الإمام أحمد – رحمه الله– وجهان :أحدهما :أن يدعو فى صلاة الفريضة بعد التشهد وقبل التسليم بالأدعية التى هى مذكورة فى القرآن.. وثانيها: أن يدعو فى الفريضة بما فى القرآن من آيات الرحمة وغيرها أى إذا يمر المصلى بآية فيها تسبيح سبح وإذا

فى رواية الحاكم فى المستدرك ج2ص554 من طريق يزيد بن عياض عن إسماعيل بن أمية عن أبى اليسع عن أبى هريرة وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه قلت يزيد بن عياض كذاب.

1 - عن حذيفة- رضى الله عنه- أنه صلى وراء النبى –صلى الله عليه وسلم- فكان إذا مر بآية فيها تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ الحديث أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب صلاة المسافرين باب استحباب تطويل القراءة فى صلاة الليل ج1 ص536

2 - وهذا الكلام فيه نظر لأن حديث حذيفة مطلق لم يرد فيه تقييد بصلاة ليل أوغيرها ووردالتقييد بحديث عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبيه"سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم-يقرأ فى صلاة ليست بفريضة فمر بذكر الجنة والنار..الحديث انظرسبل السلام ج1 ص345ط جامعة الإمام محمدبن سعود الرابعة سنة 1408 هجرية

يمر بسؤال سأل وإذا يمر بآية يتعوذ فيها تعوذ وهذا المعنى الأقرب إلى الصواب فالإمام أحمد لا يخص هذا فى النوافل بل يستحبه فى الفرائض وبه قال الإمام الشافعى([1])

ما ترشد إليه الآيات:

1- مقابلة حال المتقين الفائزين بحال المكذبين الخاسرين لتزداد حسرتهم وتنفطر قلوبهم ندما وخزيا لما رأوا من كرامة من كانوا يحتقرونهم ويتهكمون بهم.

2- بيان سبب استحقاقهم العذاب وهو إجرامهم وتركهم الصلاة والخضوع لله رب العالمين.

1 - عون المعبود فى شرح سنن أبى داود لمحمد شمس الحق العظيم أبادى ج3 ص97 وص98 ط دار الكتب العلمية الطبعة الثانية سنة 1995م وانظر المجموع شرح المهذب للنووى ج4 ص66 وص67ط دار الفكر وانظر سبل السلام للصنعانى ج1 ص345 وانظر فقه السنة ج1 ص158ط دار الكتاب العربى بيروت

الخاتمة :

الحمد لله الذى بحمده تتم الصالحات والصلاة والسلام على من كمل به صرح الرسالات وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الحشر بعد الممات . وبعد

فقد قضيت فى رحاب هذه السورة المباركة وقتا ليس بالقصير لعلى أنهل من فيضها وأغوص فى بحارها فأستخرج بعضا من لآلئها ودررها بقدر طاقتى البشرية ومعرفتى المحدودة ، فإذا أصبت ذلك فبمحض توفيق الله ومنته ، وإن كانت الأخرى فمن نفسى ومن الشيطان ، والله أسأل أن يجبر ضعفى ويقيل عثرتى ويتجاوز عن زلتي ، وكان من ثمار هذه الدراسة الوقوف على الحقائق التالية:

1- قسم الخالق بمخلوقاته يلفت الأنظار إليها بما يدل على شرفها وعلو مكانتها، ودلالتها على قدرة البارى ووحدانيته.

2- اعتنت السورة الكريمة – كغيرها من السور المكية- بإقامة الأدلة المادية عن طريق النظر فى الأنفس والأفاق على إثبات الأصول العقدية كالمعاد والبعث والحساب والجنة والنار وإثبات صدق القرآن الكريم.

3- مجالات الإعجاز القرآنى لا تتناهى ،وفنون القول لا تحصى ، وبراعة العرض لا نظير لها،فقد جمعت السورة بين أسلوبى الترهيب والترغيب بأسلوب رفيع محكم يتميز بالإيجاز ودقة المعنى.

4- القرآن الكريم كلام الله المقدس والمنزه عن الباطل والهزل ، فعلى قارئه وسامعه تنزيهه عما لا يناسب جلال قدره وعظم مكانته ، فلا ينزله منزلة

اللعب والمزاح فهو من صفات الله المنعوت بكل كمال والمنزه عن كل نقص.

فهذا غيث من فيض ورشفة من يم أرجو بها النفع لأمة خاتم النبيين وأن يأخذ بأيديهم إلى الطريق المستقيم ، وأن يكون خالصا لوجهه الكريم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

راجى عفو ربه ورحمته

مصطفى شعبان البسيونى مسعد

ثبت المراجع

أولا:كتب التفسير وعلوم القرآن

1- أحكام القرآن لأبى بكر بن العربى ط دار الفكر تحقيق محمد عبد القادر عطا

2- أضواء البيان للشنقيطى ط دار الفكر سنة 1995م

3- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى ط دار الفكر بيروت

4- البحر المحيط لأبى حيان الأندلسي ط دار الكتب العلمية تحقيق عادل عبد الموجود وآخرين

5- البرهان فى توجيه متشابه القرآن للكرمانى تحقيق عبد القادر أحمد عطا ط دار الفضيلة

6- البرهان فى علوم القرآن للزركشى ط دار المعرفة سنة1391 هجرية تحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم

7- البيان فى عدد آى القرآن للإمام أبى عمرو الدانى ط مركز المخطوطات والتراث الكويت الطبعة الأولى سنة 1994م تحقيق غانم قدورى الحمد

8- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ط الدار التونسية سنة 1984م

9- التحقيق فى كلمات القرآن لحسن المصطفوى ط مركز نشر آثار العلامة المصطفوى الطبعة الأولى سنة1393 هجرية طهران

10- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ط دار الحديث

11- التفسير الكبير للرازى ط دار الكتب العلمية بيروت سنة2000م

12- التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج للدكتور وهبة الزحيلى ط دار الفكر المعاصر دمشق سنة1418هجرية

13- تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى ط مجلة البيان تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق
14- جامع البيان للطبرى ط مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى سنة2000م تحقيق أحمد ومحمود شاكر
15- الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ط دار إحياء التراث العربى بيروت سنة 1985م
16- حاشية الجمل على الجلالين ط دار الكتب العلمية
17- حاشية زادة على البيضاوى محى الدين شيخ زادة ط دار الكتب العلمية بيروت
18- حاشية الشهاب على البيضاوى ط دار صادر بيروت
19- حجة القراءت لابن زنجلة
20- الدر المصون للسمين الحلبي ط دار القلم دمشق تحقيق د/أحمد محمد الخراط
21- روح المعانى للألوسي ط دار إحياء التراث العربي
22- زاد المسير لابن الجوزى ط المكتبالإسلامى بيروت سنة1404 هجرية
23- السبعة فى القراءات لابن مجاهد ط دار المعارف الطبعة الثانية سنة1400 هجرية تحقيق د/شوقى ضيف
24- فتح القدير للشوكانى ط دار الفكر بيروت
25- الكشاف للزمخشرى ط دار إحياء التراث العربي تحقيق عبد الرزاق المهدى

26- اللباب فى علوم الكتاب لابن عادل الحنبلى ط دار الكتب العلمية الطبعة الأولى سنة 1988م تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين
27- لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ط دار إحياء العلوم بيروت
28- المحتسب فى تبيين وجوه القراءت الشاذة لابن جنى ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
29- المحرر الوجيز لابن عطية ط دار الكتب العلمية الطبعة الأولى سنة 1993م
30- معانى القرآن للأخفش
31- معجم القراءت د/عبد اللطيف الخطيب ط دار سعد الدين للنشر والتوزيع دمشق الطبعة الأولى سنة2002م
32- المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ط دار المعرفة تحقيق محمد سيد كيلانى
33- نحو تفسير موضوعى للشيخ محمد الغزالى
34- النشر فى القراءت العشر لابن الجزرى ط دار الكتب العلمية
35- نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للبقاعى ط دار الكتاب الإسلامى
36- النكت والعيون للماوردى ط دار الكتب العلمية بيروت راجعه وعلق عليه السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم

ثانيا :كتب الحديث وعلومه

1- تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد للعراقى ط دار الكتب العلمية الطبعة الأولى سنة2000م تحقيق عبد القادر محمد على

2- سنن أبى داود سليمان بن الأشعث أبو داود السجستانى ط دار الفكر.
3- سنن الترمذى محمد بن عيسى الترمذى ط دار إحياء التراث العربى تحقيق أحمد شاكر.
4- السنن الكبرى للبيهقى أبى بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى ط مكتبة الباز مكة المكرمة سنة 1414هجرية تحقيق محمد عبد القادر عطا
5- سنن النسائى الكبرى أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن التسائى ط دار الكتب العلمية الأولىسنة1991م
6- صحيح البخارى أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخارى ط دار ابن كثير اليمامة الثالثة سنة 1987م.
7- صحيح مسلم صحيح مسلم مسلم بن الحجاج النيسابورى ط دار إحياء التراث العربى تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى.
8- عون المعبود فى شرح سننأبى داود لمحمد شمس الحق العظيم أبادى ط دار الكتب العلمية الطبعة الثانية سنة1995م
9- المستدرك على الصحيحين لابى عبد الله الحاكم النيسابورى ط دار الكتب العلمية سنة 1990 م الأولى

ثالثا :كتب الفقه

1- سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام للصنعانى ط جامعة الإمام محمد بن سعود الطبعة الرابعة سنة 1408 هجرية
2- فقه السنة السيد سابق ط دار الكتاب العربى بيروت
3- المجموع شرح المهذب للنووى ط دار الفكر

رابعا: كتب اللغة والنحو وإعراب القرآن

1- أدب الكتاب لابن قتيبة الدينورى ط مكتبة السعادة مصر الطبعة الرابعة تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد
2- إعراب القرآن وبيانه لمحى الدين درويش
3- الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ط دار الفكر تحقيق على مهنا وسمير جابر
4- إملاء ما من به الرحمن لأبى البقاء العكبري ط المكتبة العلمية
5- تهذيب اللغة للأزهرى ط دار إحياء التراث العربى سنة 2001م
6- ديوان الأخطل
7- ديوان الأعشى
8- ديوان الحطيئة
9- ديوان امرئ القيس
10- العين للخليل بن أحمد الفراهيدى ط دار ومكتبة الهلال تحقيق د/مهدى المخزومى ود/ابراهيم السمرائى
11- القاموس المحيط للفيروز أبادى ط مؤسسة الرسالة بيروت
12- الكتاب لسيبويه ط دار الجيل الطبعة الأولى تحقيق عبد السلام هارون
13- لسان العرب لابن منظور ط دار صادر
14- مجمع الأمثال لأبى الفضل أحمد بن محمد الميدانى ط دار المعرفة تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد
15- مشكل إعراب القرآن لمكى بن أبى طالب ط مؤسسة الرسالة بيروت سنة1405 هجرية الطبعة الثانية تحقيق د/صالح حاتم الضامن
16- المصباح المنير الفيومى ط المكتبة العلمية بيروت
17- معجم مقاييس اللغة لأبى الحسين أحمد بن فارس طدار الفكر تحقيق عبد السلام محمد هارون
18- معلقة زهيربن أبى سلمى